بلا أمل

فلا تلومنى . . إن عاطفتك كبيرة وأنا
لا أستحقها . . إن اللهب الذى يتـآكل ه
سيخبو يوما ويصير رمادا تذروه الاوهام .
إنى أدور حول نفسى وأنا آكل ك
تتآكل النيران . .

مي

القـاهرة

دار
الإعلام للطبع والنشر

مؤلفات

أنور الجندى

* ❋ أضواء على حياة الأدباء المعاصرين «الأول»
* ❋ نزعات التجديد فى الأدب العربى المعاصر «الأول»
* ❋ الرسول الانسان وأعلام الاسلام
* ❋ الجباه العالية «الأول»
* ❋ أضواء على تاريخ الاسلام «تحت الطبع»
* ❋ جمال وكفاح الشعب
* ❋ صفحات من أمجادنا
* ❋ جمال والثورة
* ❋ أضواء على الحياة
* ❋ جولات فى الأدب والفن والحياة
* ❋ يوميات عطارد
* ❋ قضايا العالم الاسلامى
* ❋ الاعلام الألف

كان « احمد » حبيبـا إلي نفسى ، يلتقي معى فى زوايا العـواطف والأحلام والمعانى ..

كنت أجد فيه صورتى وأوهامى . كنت أعيش مع حبه كانما أنا الذي أحب .. كل كلمة فى هذه « الصورة » لا القصة عرفتها فى حينها ، حلقةحلقة ، ومرحلة مرحلة .. وعشتها بآلامها وأفراحها كانما كنت أنا المحب أو الحبيب .

فلما آذن بالانتقال إلي الشاطيء الآخر ، طرق بابى فى وقت متأخر ومعه حافظة يومياته هذه يعاهدنى أن أنشرها كاملة لا أزيد فيها ولا أنقص إذا ما ذهب ..

ولقد بقيت عندي هذه الصورة طويلا .. وأنا راغب في أن أفى له بالوعد الذي قطعته على نفسى .. حتي أوشك الزمن أن يمضى ..

وقد حق على أن أفى لأحمد صديق طفولتي وأن أحقق له الأمنيـة التى عجز عنها . فى أن تصل المعانى التي كتمها فى نفسه إلى أصحابها وهو فى دار الخلد

ولا أستطيع أن أدعي أن ما كتبه احمد هو قصة بالمعني المفهوم للقصة . وإنما هي « صورة » أشبه باليوميات أو اللمحات النفسية المرتبطة في جانب

منها بانسان شاعر أديب عاشق عبقرى ومن ناحية أخرى بانسانة أو بأكثر من إنسانة ، عرفها وأحبها فى صورة عذرية وتبتل ونقاء وعزوف عن الهوى الغلاب .

ولعل أبرز ما فيها الحرمان والصراع والحيرة التي ما أظن أنها إلا طبيعة كل أديب شاعر عبقرى أما المرأة فهى المرأة في كل زمان ومكان ، بكبريائها ودلها ومكرها ورغبتها فى التسلط والاذلال ..

أنور الجندى

❋ امرأة تتطهر

... كان لقاءاً عجيباً عاصفاً . . لم يترك لى فرصة للتفكير ، وكنت أحب هذا اللون من المفاجئات ، وأتمناه . خلال حياتي المتشابهة المملة ..

كنت أكتب فى إحدي المجلات الأسبوعية . فصلا أدبياً . أقصد صباح الاثنين من كل أسبوع لأقدمه . وأحمل ما يكون قد وصل إلى بالبريد من رسائل .. وفيهذا اليوم .. أحسست أن الغـلاف الأزرق والخط الدقيق ، الذي يتميز به هذا الخطاب ، إنما ينمانعن « روح » .. عنامرأة :

وفضضت الخطاب في لهفة ، وصدق ما توقعت ، فقدكان الخطاب يحمل توقيعأنثي .

وقرأتفاذا «هي» تعاتبني على أننى حملت علي الأدبالنسوى فيمصرفي

بعض مقالاتى وقلت أنه ليس موجودا واستشهدت فى خطابهـا بشعر منثور الكاتبة بنت الشاطيء .

ولمحت في الخطاب شبه هجوم علي صاحب المجلة الأسبوعية « الأحد » فقد أرسلت إليه ــ زينب ــ وهذا هو اسمها ، قطعا من شعرها المرسل . فلم ينشرها . وهى تطلب مني أن أنشر القطعة التى ضمنتها خطابها ، فاذا لم أجدها صالحة للنشر ؛ فهى ترجو أن ــ أتفضل ــ وأرسل لها خطاباً أشرح لها الوسائل المؤدية إلى الكتابة الجيدة .

.. وكان الخطاب عادياً جداً ، من أمثـال ما نلتقى كل يوم في مكاتب الصحف ، وإنى لأذكر : كم تلقيت الكثير من هذا النوع من الرسائل ، ومعها قصص وصور ، عندما كنت أحرر الصحيفة الأدبية في إحدى الصحف اليومية الكبرى .. ولكن

.. ولكن شيئا خفيا كان يكمن وراء هذا الخطاب ، لعله لم يكن فى الرسالة ذاتها . وإنما كان في نفسى أنا ، ذلك الصباح بالذات . فقد كانت حياتي النفسية والاجتماعية تمر ببعض المتـاعب ، ولقد لفهـا روح من الملل ، وكنت قد أمضيت وقتاً طويلا ، منذ أن فترت العاطفة التي كانت قائمة ــ بل متأججة ــ بينى وبين الموسيقية « أميره » .

.. ولعل شيئاً آخر ، كان في نفسى إذ ذاك ، كان يشغلني فى عنف ، هو استعدادي لاصدار مجلتي الشهرية الجديدة « فينوس » .. وكنت قد حصلت على تصريح بها في نفس الأسبوع ، وبدأت أعد العدة لطبعها .

وكنت قد وقفت أقرأ الخطاب ، وأنا أنتظر الترام . فلما وصل ، طويته وغفلت عن قصيدة الشعر المرسل المرفقــة به ، أو أني أرجأت النظر فيها إلى ما بعد .

.. وفى المساء ، عندما آويت إلى مكتبي في المنزل كعادتى ، وقد سكن كل شيء حولى ، ونامت زوجتي وأهلى .. وبدأ الليل هادئا .. ذلك الهدوء الرهيب .. مضيت أخرج رسائلى وأوراقى ، وكان من بينها خطاب من صديق أديب : كان يعمل معنا في الصحف ، ثم آثر التدريس ، وسافر إلى ذلك البلد البعيد .

وكانت قد جمعتنا فى خلال الفترة القصيرة التى قضيناها معا عاطفة وود ، فقد كان يسمع عنى قبل أن يرانى ، يوم كنت أغزو ميدان الفكر - خلال ثلاث سنوات طوال - بمؤلفاتى .

ومضيت أقرأ خطابه فاذا هو يقول : « .. لقد فرحت كثيرا حينما علمت نبأ توفيقكم في الحصول على تصريح لمجلتكم الحبيبة « فينوس » وأرجو أن تبزغ في أفق الحياة المصرية نجما متلألئــا ، ينير الطريق للقوي الجديدة ، ويخسف الأضواء الباهتة الشاحبة ، التي لا تزال تنبعث من الرمم القديمة البالية لتحقق هذه الأحلام التي طالما جاشت فى نفوسنا ، وطرقت بعنف قلوبنــا وأفكارنا .

فألف مبروك يا أخي .. وإن كنت أحس وراء هــذه التسمية روحا جميلة معطرة .. ويدا رقيقة » !

وابتسمت وأنا أقرأ هذه الفقرة ، فقد تذكرت خطاب الصباح ، وأخذت أنبش أوراقي بحثاً عنه ، كنت أبحث عنه في عنف لاسبب له وحدة لا أعرف مصدرها حتى وجدته ، ومضيت أقرأه في هدوء ، وأحس من وراءه هذه « الروح » ماذا تريد ؟ وهل هي مجرد رغبه في نشر الشعر المرسل ؟

وعدت إلى القصيدة أقرأها لأستطيع أن أتبين شيئاً عن هذه « النفس » وواجهني عنوانها العاصف ، فأجفلت قليلا .. ثم لم ألبث أن مضيت أقرأ .

إلهى إصغ إلى الآن ..

إننى أعد لك قائمة طويلة .

قائمة طويلة سوداء .

أسطر حروفها من آثامي التي تعددت

لحذار أن تمل السمع أو تأنف مني .

إنك وحدك الذى تستطيع أن تقرأ هذه الصفحات الآثمة النازحة بالندم

كنت كلما تعلقت بقيودك الذهبية ، لم تتردد لحظة فى أن تعصمنى فأعتصم ،

ولكن سرعان يا إلهى ما تصدأ الأسلاك اللامعة . . من كثرة ما ألمسها ..

وتتفكك القيود .. وتنحل انحلال خلق الأثيم .

فأذهب .. وأذهب بعيداً عنك ، وأتخبط في الأوحال حتي العنق ..

ولكنك وحدك فقط الذى تستطيع أن تنتشلني كما أوغلت فى طريق الفساد

ها أنا قد وعدتك منذ أعوام .

وها أنا قد وعدتك منذ أيام .

وها أنا ذا أدعوك ثانية وثالثة وأخري .

لأن أبقى فى أسرك وعصمتك .

فلا تهجرنى يا إلهي ، كما جئتك ملطخة .

وامسح الأدران عني من جديد .

لأنى أحبك .

أحبك على طريقتي .. يا إلهى

ولن أكلمك هذه المرة إلا أن تعلمني كيف أحبك على طريقتك أنت ..

*

هذا هو النص الكامل دون تحريف .

ولقد وقفت طويلا ، إزاء هذه الورقة الزرقاء ، وهذا الخط المنمق ، وهذه العبارات التي تصور نفسا آثمة أسرفت فى الإثم ، وهى تحاول أن تتوب إلى الله منذ أعوام ، ولكنها كانت تعود ملطخة بالآثام حتي العنق مرة أخري .

وقلت فى نفسي « امرأة تتطهر » وكانت في نفسي منذ زمن طويل رغبة إلي معرفة هذا النوع من النساء الغامضات ذوات الأسرار وذوات الماضى .

كنت حفيا بأن ألتقي بمثل هذه النفس لعلي أجد فيها مادة لدراساتى في أعماق النفس الانسانية .

ولـكن . .

لماذا آثرت أن تنشر هذا اللون من الشعر بالذات ؟ ولماذا حرصت على أن ترسله إلي صاحب مجلة الأحد ، ثم أعادت إرساله إلي ؟

أحسست وأنا أتابع قراءة القطعة ، أنني إزاء أنثي غير عادية، فدفعني حب الاستطلاع أن أعرف ما وراءها ، ولم ألبث حتي تلقيت منها خطابا جديداً :

سيدي . .

« جميل أن ينسج المرء قصة حياته ، والحياة كلها قصة طويلة رائعة ذات فصول عديدة ، وجميل أن يقرأ المرء هذه القصة بجانب المدفأة في الليـالى القارسة البرد ، من خريف العمر ، فتدمع عيناه على وهن ، أو تنفرج شفتاه

بابتسامة شاحبة .

« .. كل هذا جميل يا سيدى ، ولكن الأجمل منه أن يعرف الإنسان كيف يضع الأحداث فى قالب فنى ، ورغم ما أعرفه من رأيك ما زلت عند رأيى ، إن الفن للفن وحده .

« .. أرجو معذرتى يا سيدي ، أن أعاود الحديث في موضوع قد انتهيت منه ، عند رأيك ، وأقسم لك أنى لا أهاجم رأيا رأيته ، و بئس ذلك مني ، إن فعلت ، لا أخرج عن موضعي بعيداً فأنا لم أحاول أن أسرد القصة ، و إن كانت طبيعة المرأة السرد ، لأنى لم أقرأ منهـا إلا القليل ، ولـكني سأبذل وسعى أن أفعل ، وعندي « خزائن الذكريات »

لقد ترددت فى أن أرسل لك عنواني ، ولكنى قلت : لعل لى عندك شيئا أردت أن تخصنى به دون سائر القراء .»

*

وأحسست أن فى هذا الخطاب حنين إلى المجهول ، فية صورة الأنثي التى تحاول أن تسجل خواطرها لتستعين بها على الأيام ، ولتقرأها فى خريف العمر ولـكن لماذا تطغى على الخطاب روح التشاؤم ؟ إن إحساساً يملأ نفسى بأن الفتاة مجهدة النفس إلي أبعد حد ، وإلا فمالها تواجه إنساناً لا تعرفه وهى تكتب له لأول مرة بهذه القصيدة وهذه الخواطر ؟

كان فى هذا كله روح الاثارة ، التي صادفت نفساً محرومة ، حزينة

مكتئبة ، طالما شاقها أن تتطلع إلى الأسرار ، وأن تتعرف إلى هذا اللون الغامض الذي يكمن وراء الأستار .

كم في هذه الدنيا من قصص وأزمات ومآسى ، تعيش وراء النوافذ الموصدة ، والأبواب المغلقة .

لقد كنت منذ مطلع صباي ، أحب هذا اللون ، وأسمى وراءه ، وأتطلع إلى معرفته ، والكشف عنه .

وكنت في نفس الوقت ، أحس بحاجتي إلي الحب ، هذا الإطار القوى الذي لا أستطيع أن أعيش لحظة بدونه .

ولكن هل كنت أدرى حقا متى بدأت هذه العقدة في نفسى .. انني أشعر تماما منذ أن خرجت من الريف ، بانني في حاجة إلي روح مواكب ، أستمع إليه وأسمع منه .

ولقد مضيت في حياتى طويلا ، أبحث عن هذا الوجه ، وافتقده مرة ، وألقاه أخري ، ولكني لم أجده على الصورة التي كنت أرجوها . فانصرفت أبحث وأبحث .

وبينما أنا في غمرة البحث عن « المرأة » نشأت هذه القصة العجيبة ، ولفت نظرى في الخطاب الذى أمامي عباره « وعندي خزائن الذكريات » .

وهنا تنبهت نفسى لمعنى عجيب !

أى فتاة تكون هذه الفتاه ، التي تزعم أن لها ذكريات ؟

وماذا تكون الذكريات غير ماض طويل ؟

وعدت أكتب إلي الفتاة ، بعد أن وصلني عنوانها .

« سيدتي :

تلقيت رسالتك ، وأحسست وأنا أقرأها أنني إزاء إنسانة ممتازة الحس رقيقة العاطفة .

أوحى إلي خطابك الأول والثاني ، أنني أرى مثلا جديداً من المرأة المنشودة فى دنيا الأدب والفكر .

يبدو .. أنك لن تغيرى رأيي فى أن الفن للفن وحده ، ولكنك ستغيرين رأيي فى المرأة .. أيضا .

ماذا تكتبين في هذه الأيام ؟

إنني أحس أنك روح محلقة ، حية ، طالما انتظرتها وترقبتها »

*

ولم ألبث في اليوم التالى ، فى المساء ، وأنا جالس إلى مكتبي ، أن دق جرس التليفون .. وكانت هي

وسمعت صوتاً جميلا ، فيه حنان باهت ، وفيه أنوثة مترجلة ، وحاولت على طريقتي أسأل وأسأل .

كأنما أردت أن أحيط بصورة هذه الشخصية من وراء الغيب .

وبدا كأننا لا نتحدث لأول مرة ، وألقيت السماعة وأنا أفكر .. ما الذي دفع هذه الفتاة بمثل هذه السرعة ؛ إلى الاندماج معي على هذه الصورة .

وبت ليلتي وأنا أرسم صورة للفتاة ؛ أنها كانت متزوجة ثم طلقت ، وهي ليست مدرسة ولا تعمل .

وبدت نفسيتي المعقدة تفكر ، فأنا قلق ، عاصف في الحب ، لا تكفيني الزورات المتقطعة ، ولا اللقاء البعيد .

وفي مساء اليوم الثاني ، كان قد وصلني خطابها الأزرق بالبريد السريع ، فما كدت أمضي في قراءته ، وأعيش في ألفاظه وكلماته ، أستشف ما وراءها من معان ، حتى دعيت إلى لقاء ، قيل لي أن سيارة تنتظر على باب الدار ، فنزلت مسرعا ، وتركت من كانوا يتحدثون معي ، دون أن أستأذن منهم .

كانت العربة تقف في الظلام ، وفي داخلها سيجارة مضيئة ، في يد أنثى ، لم أتبينها جيداً .

ولم أكن في حاجة إلى أن أعرف أنها « زينب » وركبت بجوارها ، بعد أن رفضت زيارتنا في الجريدة ، وعادت العربة ، وكان لقاء حاراً حنوناً ؛

ولكنني كنت مرتبكا غاية الارتباك ، كانت في ثوبها الأبيض الأنيق ، وعطرها النفاذ ؛ وأناقتها الكاملة ، مثلا من أمثلة الحب الذي كنت أحبه وأتمناه .

المرأة الطويلة النحيلة المعروقة ، ذات الأنف الطويل ، والوجه الإغريقي الذي يوحي بالحب .

وودعتها على أن نلتقي في اليوم التالي .

« سيدي :

ما أدهشني شيء كذلك العجز الذي تملكني ، وأنا أكتب إليك رسالتي هذه .. من أين أبدأ .

عدت البارحة بعد أن اتصلت بك تليفونيا ، على أن أكتب إليك كما تلحقك رسالتي مع بريد الصباح ، ولكني جلست إلي الورق والقلم في يدي ، وبقيت إلى ساعة متأخره أنتظر الكلمة .

أما تلك الروح المحلقة ، الحية التي تتحدث عنها ، فلا شك أن في هذا إرضاءاً لغرور أية إنسانة كانت .. ولكني أصدقك القول أن هذه الشخصية « المفرده » إنما هي شخصية طبيعية جداً إلى أبعد حد ، ولكنك أبيت إلا أن تسلمني إلى الزهو والغرور ؛ فدعني أعيد علي مسمعك شيئا من الشعر ..

أقصر فلست بزائدي وداً   بلغ المدي وتجاوز الحدا

.. كل منا ، عنده من التجارب النفسية والأحداث الجسام ، ولكن الإحساس يتفاوت ، والأحداث تختلف .

يخيل إلي أنني في هذه الأيام ، أعيش في صحراء مجدبة فلاأجدماأكتبه»

❋ « حــــيرة »

« إننى أدور حول نفسى وأنا آكل كاتنا آكل
النيران وأن هذا اللهب سوف يخبو يوما ويصير رمادا »

ما قصة هذه الفتاة التي اعترضت طريقي فجأة ؟

لقد عدت إلي البيت حالما ، من كان يتصور أن رابطة تنشأ على هذه الصورة ؛ لقد كنت أرسم فى الخيال صورة الأدباء الكبار الذين تعرفوا عن طريق آثارهم الأدبية بالفيتات الجميلات ، هاويات الأدب . و .. ها أنذا قد أصبحت كاتبا كبيرا ، ولا شك . إذ وجدت لى قراءاً من هذا النوع .

كان تفكيري طوال الليل وأنا جالس إلى مكتبي في المنزل يدور حول ما ستكشف عنه الأيام ، من هذه القصة العجيبة الاستهلال .

لماذ أسرعت الفتاة تربط نفسها بى على هذه الصورة !

ل هي مبادىء حب جديد ؟ يقولون إن الحب ينشأ عندما يكون صاحبه فى حاجة إلى إنشائه ، وأنا منذ وقت طويل ، أحس ذلك الفراغ النفسي العميق الموحش ، فما أحوجني إلى أنثي ، ولعلها هي كذلك ! وهذه أيام الشتاء (٢١ نوفمبر) أيام الشتاء الجميلة التي أحبها ، كأنما هي موعدى دائماً مع الحب.

وما أظن أنني رأيتني أشد سعادة بلقاء « إنسانة » كما كنت الليلة ، لقد أحسست منذ اللحظة الأولى ، أنها من طراز ممتاز ، ومن أسرة كبيرة .

أي إحساس هذا الذي يغمر نفسي ؟ لست أدرى ، ولكني أحس الخوف الخوف من أن أفقد هذا الكنز ، وأفكر في الامر ، كيف يمكن أن ترتبط فلا ننفصل ؟

لقد ظلل الحب حياتى باطار داكن ، فما لقيت حتي اليوم الأنثي التي أنشدها والتي يرسمها خيالى علي كثرة ما التقيت بالنساء والفتيات .

لقد انصرفت نفسى عن تلك السيدة الكريمة التي أحبتنى . لا لسبب إلا لطبيعتي المعقدة ، هذه الطبيعة التي تنصرف عن الإنسان الذى يسرف فى حبها فقد بدت لى «أميرة» على صورة المرأة التي آمنت بي ، وكانت وشيكة أن توقف حياتها على ، ولكن الجو المحيط بها الذى كان يحول بيننا وبين أن نلتقي في حرية ، ووضعها المعقد كزوجة ، كل هذا صرف نفسى عنها في الوقت الذي كانت هي تذهب فيه إلى أبعد حد فى الحرص على مودتي ولقائي .

وأنا أعرف من نفسي هذا التعقيد ، هذا الانصراف عمن يسلم نفسه إلي ويراني كـ[illegible]ـنه ويقف مني موقف الإعجاب والثناء .

أومن بأن هذا إن كان يصلح في محيط الحياة العامة ، فهو لا يصلح في الحب فالحب ليس إلا هذا الصراع الدائم بين الرجل والمرأة ، فإذا توقف ، فترت حدته وذابت روعته .

*

والتقيت بزينب في اليوم التالي ، وأمضينا ثلاث ساعات ، كنت أتحدث خلالها وهي تستمع في ابتسام .

كنت أحس أن كل دقيقة تمضي وكل قصة تروى تزيدني امتلاكا لهذا القلب ، وتخلق بيننا ذلك الغريب العزيز ، قدس الأقداس . . الحب !

« زيزي ..

إذا بلغت النفس غاية الحب ! وصلت إلى ذروة السعادة . وإذا بلغت ذروة السعادة ، وصلت إلى قمة الألم !

ذلك هو الشعور الذي أعيش فيه منذ أمس ، وهذا هو الإحساس الذي تعتلج له النفس ، النفس المسكينة التي تحس بالألم حين تعيش في الحرمان .

أهكذا ، وبهذه السرعة الخاطفة تتحول النفس ، فلا ترى شيئا ولا تفكر في شيء ، ولا تدور إلا حول تلك النار المقدسة التي كان يعبدها الفرس والهنود

دعيني أصارحك بأنك كنز . أقول هذا صريحا لا متملقا ولا ملتويا ! أقولها ولتفعلي أنت ما تشائين ..

كنت أعيش في حياتي أرقب مطلع الفجر .

وطلع الفجر مرة ومرة في حياتي .. ولم يك صادقا حتى ظننت أن الفجر

الصادق هو الأكذوبة الكبري .

ولكن.. بعد أن كدت أقطع الأمل . أو كنت قدقطعته فعلا : طلع الفجر إنني قد انتظرت طويلا . حتى جاءهذا الطيف ، فأحسست أنني فى حلم. ذلك الطابع الذي اختزنته في أعماقي ، والذي جمعته من قراءاتي ، والصور التي مرت بنفسى . والملامح الروحية . والإحساسات النفسيه . قد صاغت تمثالا حيًا . كان قائمًا في نفسى كالشبح . . فاذا بى أراه قدأصبح حيـًا يتحرك في صورة إنسان . هو أنت !!

لقد كنت سراً يجري بين الأضواء والأنوار ، فى دورات الفلك وأبراج الكواكب ، حائراً لا يستقر ولا يقف ، حتي التقيت بك . لست أدري كيف استبدت شخصيتك الجبارة بروحى ، بروحي العطشي . ومن هنا جاء الألم العميق .

لقد صارحتك فى أول لقاء بحقيقة أمري ، وبأنى زوج ، وقد رأيت ألا أكون مخادعا حين أخفى عنك حقيقة وضعي. ولو كنت على غير الوضع الذي أنا فيه ، ما ترددت لحظة في اللقاء الدائم الخالد .. ولكن مهلا ، مالنا نستعجل الزمن ، لعل القدر يصرف الأمور وفق ما نهوى وما نريد . وهذه العاطفة لماذا لا تصهر في بوتقة الأمل والحرمان قليلا » .

وتعدد لقائنا ، وتعددت رسائلنا . وكنا نعيش فى عاصفة من الحب .. لم يكن يفسدها إلا التواءات خفيفة ، كنت أحس معها أن في نفس صاحبتي سراً ، تريد أن تكتمه ، وأن لها فى الناس رأيًا . كنت أحس بأنها قد قاست ، وأنها

تبدي ملاحظتها ، على الصحفيين وعلى الهيئات النسوية فى شيء من العنف ، وكنت أرى أنها لا تأخذ كلامى كله مأخذ الصدق ، كان الشك يساورها فى بعض ما أتحدث به إليها ، ولكنني لم أكن أعرف التعرضات القائمة في أعماقها ، حتي أتقيها ، وفى نفس الوقت ، كنت أخشى أن تظن أننى كأولئك الذين عرفتهم من قبل .. نعم كنت أخشى أن تظننى حاطب ليل .. وكانت تعذبنى هذه الوساوس ، فأنا رجل لا غاية لى .. لقد كنت أبحث عن قلب محب ، وعن نفسى تتلاقي معى فى أصدائها وأهدافها ، وكنت أثق أن « زينب » هي هذه الذات ، ولذلك فقد كنت حريصاً على أن أكسب ثقتها أولا . .

وقد دفعنى هذا إلى أن أحدثها فى أمر ؛ ما أظن أن المحبين يتحدثون فيه سريعاً .. ولاهم يتحدثون فيه إلا مضطرين .

لقد صارحتها منذ اللقاء الأول بأنى زوج ، وإن كنت أحس بأنني لست سعيداً ، وحدثتها عن وضعي المالى المضطرب .. ولم أبق جانباً من جوانب نفسى غامضا ، تطوعت بأن أقص عليها هذا حتى لا تقوم العاطفة ـ عنـدها ـ على أساس من الشك والخداع ..

☆

« أحمد .. عبثاً حاولت أن أستذكر دروسى .. وعبثا استطاعت رأسي أن تستوعب شيئاً ، لقد كان هناك ماهو أكبر أهمية عندي ، بالنسبة لذلك الإنسان الذى منحني أكثر مما تصبو إليه نفسى . .

« عاطفة كبيرة » ما كنت أحسب أن أجازى عليها بمثل هذا القدر . .

ولكن هي طبيعة المرء الجاحدة لكل شيء .. كيف يكون هذا ؟ أفي دنيا الناس غايات سامية صادقة ، نعم ، ونعم ..لا ينكرها إلا كل كذوب . تركت كل شيء ، وأمسكت برسالتك .. إنها هي المحور الذي تلتف حوله أفكاري أجيبك عنها إجابة المسئول .. ولكن هل بها سؤال ؟ وهل عندي جواب .

عندما يطغي العجب على العقل ، ويجثم عليه ، يخنق إدراكه ويشل فهمه وفي لمح البصر أرتد إلى عالم بسيط ، عالم طفولة .. عندما كانت الأماني صغيرة ولكنها عديدة .. وكنا لا نملك تحقيقها . ثم بدأ أحدنا يدرج على سلم الحياة ، ويشب ، وقد يشيب .. وتكبر أمانيه ، ولكنها تتوحد..

أراني أتعثر ، وأتعثر ، ثم تجمع بيننا الحياة ، على شطها الفاني ، في صفحة ما زالت تتأرجح ، بين الأمس واليوم .. وما كنت أدري وأنا أسطرها أنني أسطر حدثا جديداً ، قد يطويها وقد ينشرها .

درب كومت فيه الورود والرياحين . كما كومت فيه الأشواك والسعدان أنت تتساءل ، وأمامي رسالتك الأخيرة ، عما تجيش به نفسي من ذكريات ماض ، وآمال مستقبل . لقد تعلمت كيف أجيد الصمت ، كما أجيد الإفضاء..وقد وجدت راحة كبرى .. في أن أدور حول نفسي ، وأتآكل كما تتآكل النيران .. ماذا تريدني أن أجيبك عليه ؟

هل إذا لم أتلفظ جهراً ، تكون أنت أقل علماً . بعد ساعة سنلتقي ، فلا تلمني إن عاطفتك كبيرة ، وأنا لا أستحقها ، إن اللهب الذي يتآكل سيخبو ويصير

رماداً تذروه الأوهام ، فهل تستطيع أن تجمعه ؟ »

أما أنا فقد وقفت أمام هذه الرسالة حائراً . . أي نفس هذه التي يمضها الألم ، ويثقلها الماضي ، ويصارعها الأسى واللوعة ، فتدور حول نفسها وتتآكل . إنها تراني إنساناً جديداً في دنيا الناس ، على هذه الصورة من الوفاء ، وترى عاطفتي أكبر من أن تستحقها ، فهل أنا كذلك حقاً ؟ .. والتقينا ، وقطعنا فترة طويلة ونحن نتناجي ، وعدت إلى البيت أكتب لها في حنين جارف .

« زيزي . . أكتب لك هذا ، والساعة تقترب من الثالثة صباحا ، ولا زلت أحس بحرارة اللقاء .. هذه الساعة التي عشناها سوياً ، هذا اللقاء .. كان الليلة حلواناعما ، جدد روحي ؛ وفتح في قلبي نوافذ من الحنان والحب . . ما زالت رائحة العطر الذي التمسته من يديك ، تتضوع حولي وتفوح ، فأحس بأن آثارك ما زالت لاصقة بي ، كأنها تأبى أن تذهب . وأستشعرك فاذا أنت قريب مني ، ولكنك بعيده .. إنني أقضي أيامي في صحراء مجدبة ، صحراء من الجليد ، أريد ان أصنع شيئاً فلا أستطيع ، أمامي عديد من المشاريع والأعمال وكلها تنتظرني لأتمها . . أمامي عديد من القصاصات والمجلات والكتب وكلها تنتظرني لكي أقرأها .. فاذا فتحت كتاباً لأقرأه ، ما أكاد امضي في القراءه لحظة ، حتي تجيئين أنت ، لتقفي في وجهي ، فتحجبي عني كل شيء ، هذا شأنك معي دائما منذ أن عرفتك .

لا تدعيني لحظة ، أخلو فيها إلي نفسي ولا إلي خواطري المرسلة ، بل فجأه ، أراك ، وقد أزحت الحجب ، ونفذت إلى دنياي ، كأنما يعز عليك

أن أشغل بسواك. كانت في نفسي أشواق إلى صوتك، ولكن خطابك حجب عن نفسي كل هذه الصور وأسلمني إلى ذلك اللون المظلم من الشعور.. لقد كنت بعد الغروب في منطقة دارك، التلمس الصدى او الشذى، كنت طوال يومي بين ساعات العمل والراحة والنوم معك، أتحدث إليك، وافكر فيك .. كانت نفسي ضائقة بكل شيء، حتى جاء المساء، فأحسست ان لونا من النشوة يتسلط علي .. ولم اكن ادر انه موعدنا المفاجيء الحبيب»

☆

« .. كانت نفسي مثقلة عندما تركتك، منذ ساعتين .. واطبقت اثقالها على جسدي فأحسست بتعب شديد يرهقني، وخشيت ان اعود إلى البيت، فأستسلم للنوم .. شد ما أكره هذا السلطان المؤمر على وقتي، وبينما انا افكر في الطريق، قادتني قدماي إلى « بيجل » بدوان نفسي، كانت تضمر سراً، وضعت الكتاب بين امامي ورجع إلى هاتفك، سوف يعجبك ديوان البير أديب فاختزنته، وقرأت ديوان « هند سلامه» .. لن اعلق عليه، فما يعنيني الآن إلا ان افعل شيئاً، آخر هو ان اكتب إليك.

ما زالت هناك ساعة، حتى يغلق المكان، وما زلت احس بهذه الرغبة الموحشة لأن تلقاني في غيبتي، كما سألقاك انا غداً، ولم لا .. قد يفاجئني الرحيل الآن فلا أتصل بك غداً، أليس من الحكمة أن أترك لك كلمة قبل الرحيل، هناك الكثير الذى أريد أن أصرح به .. ما عاد يهمني الآن أن يسترق السمع سامع او يتغاضى، لكنني الآن تماما، كمن يجثم على صدر

احلامه كابوس كبير ، كلما حاول أن يرفع صوته مستغيثا ، اعجزه النوم .

انا حزينة الليلة .. حزينة حزنا هادئا من غير الم ، اود ان ابكى كما يبكى الأطفال ، إن معي الآن قطة عمياء ، قد اعتادت ان تتحسس طريقها إلي كلما آويت إلى ركن من هذا المكان .. لا تستغرب هذا فهي انيستي هنا .. كما كان يؤنسني « فارس » فى قصتّي الأولى ، إن اضواء المكان تخبو ، ثم تتألق كعيون كابدت طول السهر إيذانا باغلاق المكان، ولم أفرغ انا بعدمن الحديث معك وإن كنت قد اطلته فالي الملتقى فى الدار .

..ان ازيد كلمة فوق ما كتبت ، وان افض المظروف الذى تنتظرنى فيه رسالتك على وسادتي ، إنى اود ان افرغ من كل شيء ، حتي افرغ لك ، فاسمح لي ان انهي رسالتى »

* الماضي ..

« لقد ملأ خطابك نفسي ألماً عاصفاً عنيفاً .. في خطابك روح متشائمة فلماذا ؟ لماذا كان الحزن من غير ألم ؟ لماذا جلست وحيد في بيجيل .. و لماذا لم يدق تليفوني الليلة ، لقد كنت قلقاً عليك غاية القلق ، أترقب دقات التليفون ولم يكف هذا ، بل مررت على المنزل بعد التاسعة ، أتحسس صوتاً أو شبحاً ، وكانت حجرتك غير مضاءة .. وكان أقسى ما في خطابك الذى قرأته بضع مرات كلمة « الرحيل » ، لماذا تذكرينها ؟ إفصحي عما في نفسك ، فلن تجدى قلباً أصدق وفاء ولا حباً لك من قلبي ، حدثيني ، اكشفي عن هذه الأسرار التي تضيقين بها ».

لقد بلغ الحب في نفسي ذروته ، وطغت الفتاة على تفكيري وإحساسي

عاطفتي ، وعقلي تماما .. لست أدري ما هي العوامل الفعلية التي جعلتها تسيطر على بهذه السرعة وبهذه السهولة ، إلا أنني كنت كالمريض المهيأ لالتقاط جراثيم الوباء .. كانت هناك منطقة فراغ ، ترحب برابطة روحية جديدة . .

وقد وجدتها وما كادت . . جاءت هذه المرة في صورة فتاة غامضة ، تحب الأدب وحديثه ؛ ولم ألبث ؛ أن نشرت في مجلة « الأحد » كلمة عنها ، وقصيده لها .. كانت هي حريصة على هذه الرغبة ، كانت تبدو في حديثها في صورة الموحية إلى ، من طريق خفي ، وإن كانت لم تكشف عنها صراحة على طريقة المرأة ، وكنت أحب أن أرضى هذه الرغبة في نفسها على نطاق واسع ، فكتبت في مجلة الأحد أقول :

« في رسالة مطولة وردت إلينا من الكاتبة الثائرة «زينب ..» تقول إن حملتك يا سيدي على الأدب النسوي قاسية ؛ إنك تنكر أن هناك أدباً نسوياً ، وقد رددت هذا أكثر من مرة ، وقلت إنه ليس هناك شاعرات... ووقفت من الشعر المنثور الذي كتبته «هند سلامة» موقف المعارضة ، ولست أدري ، أكان ذلك منصباً على اللون الأدبي نفسه ، أم على المعاني التي تضمنها الشعر .. إنني أرسل لك طي هذا بعض القصائد والقصص ، وأنا متحدية وواثقة .. من أنك ستغير رأيك في الأدب النسوي والشعر المنثور .

إن هناك كاتبات ياسيدي ، يكتبن لأنفسهن ، ويعشن في برجهن العاجي ليقرأن ويكتبن .. إنهن ، وأنا واحدة منهن ــ يؤمن أن الصحف لا تعرف إلا الوجوه ، ولا تعرف غير اللواتي يتصلن بهذا الكاتب أو ذاك ، أما

اللواتى ينتجن فى صمت ، فهن لايردن أن يعرفهن أحد ، غير أنه عسير علي أن تقول إنه ليس هناك أدب نسوى ولذلك أرسلت إليك هذه الصورة من كتاباتى» .

هذا هو الكلام الذى وضعته على لسان «زينب» وهي لم تكتب منه حرفا .. ثم قلت : « والحق أنى أعجبت بهذه الرسالة ، لأن كاتبتها مركزة الأسلوب ، ولأن القطع التي أرسلتها إلي توحى بالثقة بأننا سنطالع فجر الأدب النسوي الجديد ، سنطالعه على يد أمثال « زينب » وغيرها من الشابات المجددات اللواتى لم تتألق أسماءهن بعد . . وأسارع فأعرض قطعة من شعر « زينب» المنثور : « بيني وبينك .. خيط مجهول ، سمه عباده ، أو سمه حنينا ، سمه ما شئت مما تعرفه وحدك ، ويخفى على من دونك ، إنه موجود ، باق لا يزول .. يسري فجأة في بدني فيرتجف له ، ثم يدب على أرضى فأقف فى ثبات .. أقف أمامك ، وقفة موسى عند الطور الأمين ، ويجري بينى وبينك عتاب حار .. وتنتصر أنت ، وأتوارى أنا خجلا ، ويحزنك أمري ، فتبعث إلي ، تبعث إلى من ذلك الينبوع الذى لا يجف : ينبوعك ، وترطب جفاف روحى بآياتك الحسان ، ولكني من فرط خجلي لا أستجيب .. فتنظرنى قليلا .. ولا تهجرنى ، وتفتش عني فى كل بؤرة .. فلا تترفع عن ارتيادها ، مهما كان ، لتهمس في أذني : عودي يا ضالة . . عندك المؤمنون الأبرار ، ركعاً سجداً ، ولكنك لاتلبث أن تجيب دعوة الداعى .. إذا دعاك ، فأنا أدعوك»

ومضيت أختم الحديث فقلت « وحق على أن أنشر هذا الشعر المنثور

فهو غاية في السمو والنقاء ، إنه يرسم صورة واضحة لنفس صوفية ، تحلق وتصعد في السماء .. فارق بعيد ، بين هذا اللون الروحي ، وبين ذلك اللون « النفسي » الذي عارضناه ، وإن كنا نحتفظ برأينا في الشعر المنثور بصفة عامة .. وختمت المقال بهذه العبارة :

« إننا يا سيدتي ننحني للأدب الرفيع ، ونحيي الروح الجديد» . وهكذا يكتب تاريخ الأدب ، فما أعتقد أن كاتبة ما مهما بلغت من سمو المكانة ، كانت تستطيع أن تظفر عن طريق قلمي ، وعن طريق مجلة الأحد ، بمثل هذه الكلمات .. ولكنها العاطفة الحارة ، كانت وراء كل كلمة ، ولكنها الرغبة في ان ابرز امام « زينب » سلطاني ، في ان ارفعها بقلمي إلى مكانة الكاتبات اللواتي عرفهن المحيط الأدبي منذ زمن بعيد .

إن واحدة منهن لم تظفر يوما على صفحات «الأحد» بمثل هذا الثناء ، ولكن شيئاً آخر كان وراء هذه القصة ، ماذا قال الأستاذ «زياده» ، عندما قرأ الكلمات ؟ هذا جانب كان خافياً عني في ذلك الوقت ، ولم يتكشف إلا بعد زمن ، وكيف سمح بنشر الكلمات ، وماذا كان موقفه منها ، وماذا رأى في الشعر الذي يصور نفسية امرأة تريد ان تتطهر ، وتتجه إلى الله وتعترف عن خطاياها .

ولماذا كانت « زينب » حريصة علي نشر هذا الشعر بالذات في مجلة (الأحد) وكانت قد أرسلته في خطاب خاص إلي رئيس التحرير ، وفي نفس اليوم السابق لظهور مجلة الأحد في السوق . . وكان مساء السبت ، كنا علي

موعد ، لكي نذهب إلى دار الأوبرا لنحضر إحدى روايات الموسم ، وكنا قد حجزنا (لوجا) .

وكنت مهتز النفس ، مضطرب الأعصاب إلى أبعد حد ، فقد تصورت نفسي وانا اقضى مع (زينب) ساعتين فى مكان منفرد ، لأول مره ، بعد ان ضجرت من لقائنا في بوفيهات القاهره .

وقصدت إلى دار المجلة ، واخذت نسخة ، ومضيت بها ، فقد كنت ارى ذلك جميل الوقع فى نفسها ، ان اقدم لها الكلمة الرائعة ، في تلك الليلة ، وهى ليلة الميلاد !

ووجدتها فى موعدها ، تنتظرنى ، وقد لبست ثوب السهره ، الذي بدت فيه غاية فى الروعة .

وكنت فى الطريق إليها ، أحس بأن شيئاً مجهولاً مقبضاً ، لا أتبينه ، يبدو من بعيد ، وأنا من الذين يؤمنون بالغيب .

والتقينا ، وقرأنا الكلمة معاً . . وفرحت بها « زينب » إلى أبعد حدود الفرح ، وقالت لى وهى تخطف العدد من يدى وتطويه فى لهفة : لقد كنت أخشي ألا ينشر الأستاذ زيادة هذه الكلمة .

ولما سألتها عن السبب ، قالت كلمات مقتضبة غامضة ، فهمت منها ، أن صلة قديمة بمجلة الأحد ، قد انتهت بخلاف .. أو مايشبه ذلك ! ولم أعلق على الامر ولم يثر اهتمامي ولم أشغل به ، فقد كنت أتأهب للذهاب إلى الأوبرا ، ولكن صاحبتي فجأة ، ودون سابق إنذار .. وكأنما تذكرت شيئاً قالت لى : إنها

إنما جاءت لتعتذر لى ، وأنه فى اللحظة الأخيرة ، قد جاء من الأمر ما يحول بينها وبين الذهاب .. ولم أفهم شيئاً ، أثمة هناك رابطة بين مجلة الأحد وسهرة الأوبرا ؟ ومضيت أقسو عليها ، ومضت هى تعتذر فى رفق .

كان حوارى معها قاسياً ، كنت أحس بأنه لن تتم لنا ساعة الصفو ، فى هذه الليلة ، وكانت نفسى متهيبة لذلك اللقاء الذى سأقول لها فيه الكثير مما تطويه نفسى ، ومما لم يكن جو الأماكن التى نغشاها يشجع على الحديث فيه .

حقاً .. لقد كنت فى حاجة إلى خلوة ، وكنت أتصور بخيالى روعة الجلسة فى المقصورة التى تنتظرنا ، لقد فقدت أعصابى فعلا عندما أخذت تعتذر لى .. وقسوت عليها فى عبارات تهكمية لاذعة ، حتى ضاقت بى وقالت : إننى لو مضيت فى الحديث ، لبكت . .

ولقد رأيتها مرتبكة فعلا ، مما أكد لى أنها كانت مرغمة وأن ظرفاً قاسيا - قد يكون نفسيا - هو الذى دفعها إلى الاعتذار ، وأحسست أنها تنوء تحت حمل عاصف من العاطفة لى .. تكره المرأة أن تعلن عنه ، ولم ألبث أن سريت عنها وخففت متاعبها النفسية .

وانصرفت وفى نفسى غضب وحزن . . وكنت أرنو من بعيد ، فى وحدتى فى تلك الليلة وأنا جالس إلى مكتبى . . فى حنان - إلى هذه الفتاة ، وفى حزن إلى تلك المقصورة الفارغة .

وأسفت أن يقضى الناس «ليلة عيد الميلاد» بين عوامل البهجة والسرور حين تعود زينب عنى ، لتعود إلى منزلها فتحرم نفسها وتحرمنى من سعادة هذه الليلة التى يتمتع بها الناس جميعا .. ولم أكن أدرى أن الليلة عيد الميلاد قصة

❋ (عزلة ..)

شد ما يؤلمني أن هناك شيئا قد فقدته
في قرارة نفسي ؛ ذلك هو معنى الحياة

كانت خطاباتي إلى « زينب » وحديثي معها ، يفيض بالحب ، الحب الذى كان يملك على أقطار نفسى ، وكنت أعلل النفس بأن تنجح مجلتي (فينوس) فتكون مركزا عمليا لرابطتنا الروحية . . وكنت أحلم بأننا سنعمل معا ، ونلتقى فيها كل يوم .. وكتبت هي قصة للعدد الأول .. ومضينا نلتقى ، هى على تحفظها ، وعلى هذه الصورة من الصمت والكلام القليل ، والعبارات الغامضة ، وأنا على صراحتي فى الكشف عن عاطفتي .

وجلست إلى نفسي أفكر فيها ، ماذا هنالك فى أعماقها مما تطوى عليه أعطافها من الألم والحزن .. لقد لاحظت عليها هذا الانطواء ، هذا الفتور .. وكنت

أعجب لفتاة لا تبدو مرحة منطلقة ، وهي في جلسة مع من تحب .. أو من ترتضي صداقته .. وكتبت لها ، عن أملي في أن نرتبط بلقاء دائم ، وكنت في خلال هذه الفترة غاية في الارتباك من الناحية المالية ، إلى الحد الذي لا يسمح لي بأن أدعوها إلي العشاء مثلا ، أو إلي سهرة ما .

ولكنني كنت أدعوها ، فترفض ، كأنما كان في نفسها شيء معقد ، تجاه الجلسات المفردة ، أو حفلات السهر ، أو حفلات العشاء .. كانت تكره دعوتي إلى (جزيرة الشاي) أو إلى حدي الكازينات الواقعة علي النيل ، ولم أكن أعرف السر .. ولم تزد في اجتماعاتنا عن تناول فنجان القهوة التقليدي .

وكنت أفكر بعيدا ، وأرسم الخطط لمستقبل قد يبدو جميلا عندما تنجاب هذه السحائب السود عن طريق حياتي .. لقد كنت بطبعي طموحاً وكنت كبير الأمل في الغد ، وكنت أقوي الايمان بأنني سأكون عن قريب من كبار الكتاب .. ولكنني كنت أفكر أيضاً ، هل لو تزوجنا تبقى هذه العاطفة علي حدتها ، وسموها وروعتها .. أم ينقضي أجمل ما فيها .. وهو الوقدة والحنين ، ومن ثم نعيش تلك الحياة العادية التافهة المكرره . وتتلاشى صور الحب والجمال والحب والشعر ، وتأتى تلك القصة السخيفة : قصة الأطفال والطعام .. والخدم .

ومضيت في حيرة بالغة ، أفكر في وضعي كزوج .. وكذلك كنت أعيش في موج من الصراع النفسي الدائم ، عندما تدخل امرأة ما إلي محيط حياتي لم أكن أري في تلك اللحظة أي شيء أمامي ، إلا هذا الأمل وهذه الصوره

المشرقة بالنور والضياء والمجد التي نستطيع أن نحياها ، أنا وزينب ، نذهب إلي كل مكان ، ونمرح ونلعب ، ونسافر ونقبع ، ونتحدث في حرية وطلاقة عن الدنيا والماضى والحب والموسيقى والفن .

أما الآن ، فانا نلتق في هذا المكان لا نبرحه ، ولا نستطيع أن نتقابل في أيام الآحاد والجمع حتي لا يرانا الناس ، وهى حريصة على أن تودعني في مقعـدى ، حتى لا نظهر سوياً في طريق عـام . . كان الحب طبيعيا ، وضروريًا بالنسبة إلي .. فان أحداً لم يكن يملأ فراغ نفسى .

ومضت زينب تكتب إلي مالا تستطيع أن تقوله فى جلساتنا ، وكانت مفاجئة عاصفة ، هذه القنبلة التى ألقتها فى عنف :

« أحمد .. قلت لك أننى سريعة الإحساس ، دقيقة الحس ، إنني أشبه بالفاكهة التي تم نضجها وازداد ، فأصبحت سريعة العطب ، أري نفسى تماما ، كثمرة « الكاكى » إذا لم يحذرها الإنسان وهو يحملها ، أصابها . ولكني مع هذا أستطيع أن أكون أشبه بفاكهة لم تنضج ، تستطيع أن تلمسها بكلتا يديك ، وتضغط عليها بشدة فلا تتأثر ، أنت تغضب مني فلا تفصح لى عن خطئي ، ولكني على العكس إذا غضبت ، أفصحت .

عدت بعد الدرس ، كى أقرأ معك مذكراتك الخاصة . . أتدرى ، أنا أنا أستمع إلى الآية الكريمة : (لا أقول لكم عنـدي خزائن الله ولا أعلم الغيب ، ولا أقول أنى ملك . .) فأذكرك ، ولا أدرى ما الذي يدفعنى الآن لأكتب إليك . ولكني تذكرت سؤالك عما إذا كنت مغرمة بمعرفة الغيب،أحس الآن بشيء غريب ، إنني لو استطلعت الغيب ، لعرفته ، ولكن

في اللحظة الأخيرة . أنا مجنونة يا أحمد فلا تؤاخذني .

أنت تسأل عن شيء دار حوله حديث ، وشد مايؤلمني ، بل شدما يعقد لساني إحساسي بأن هناك شيئاً قدفقدته ، في قرارة نفسي ، هو معنى (الحياة) ذلك المعنى القوي الجميل ، الذي يحفزنا لممارسة (المرحلة الأولى) ، لا أقول لك إني يائسه ، أو أنني أكره الحياه ، بل على العكس، أنا أحبها أشد مما يحبها مؤمن بها ، ولكن كيف تكون ، وعلى أي صورة ؟ هذا هو الذي أفقده ، لعلها في الحب ، لعلها في العبادة ، لعلها في حدث خطير ، لعلها في أي شيء ، ولعلها أيضا في الترقب . لا أجد ما أقوله ، ولكني سأبقى فترة في البيت ، فأرجو ألا يؤلمك اعتزالي إلى حين »

ووقفت أمام خطابها مبهوتاً ، ما كنه هذه النفس ، ماذا تطويه ، ماذا تحب أن تخفيه عني ، ما هي العواصف التي تمر بها بين حين وحين ؟ أي سر وراء هذه الإنسانة التي تبدو حزينة ، والتي تتحدث عن البكاء المخنوق في صدرها ، إنها قد اعتزلتني إلى حين ، وعكفت على صومعتها .

لست أدري ما الذي حملها على ذلك ، إن خطابها يدل على أنها لا تريد أن ترتبط في الحياة ، أو معي بوضع ما ، ولكن المرأة هي المرأة دائما ، هاهي ذي ترسل من وراء حجابها تقول :

« أحمد .. منذ أن استوطنت العزلة نفسي ، أو استوطنتها نفسي ، وأنا في ترقب دائم ، أرجو أن يبقى [ما بيننا] موصولا بالرسائل ، خلال

فترة الأزمة التى تمر بي ، ولكن عشي كان كهشيم إبليس ، أود أن أكتب شيئاً ، ولكنى لم أجد ما أكتبه ، أود أن أفعل شيئاً ولكنى لا أجدما أفعله حتي أنى فكرت فى العودة إلى كتابة مذكراتى ، ولكني تذكرت كم مرة التهمتها للنيران ، ربما تنجو هذه المره .. وما أن مسكت القلم ، وبدأت . . حتي أحسست في نفسي رغبة لأن أتحدث إلي إنسان ما ، لا أن أكتب فقط فهل أنت على استعداد لإضاعة وقتك قى قراءة سخافاتى)

*

وهكذا أقع مره أخرى في حيرة عجيبة ، لست أدرى سرها ، لماذا التهمت مذكراتها النيران ، وماذا يمكن أن تطوى هذه الفتاة فى صدرها من أسرار . ما كنه الماضى الذى تنفزع منه ، ولماذا تذكره ونحن على أبواب حياة وجدانية جديده .

وهذا التحفظ فى الألفاظ والعبارات ، وهذهالألفاظ التى تبدو معانى الحب من خلالها واضحة صريحة ، وإن حرصت هي علي أن لا تسفرعنه ، ماسرها ما مداها ! كنت أحس أنها تحبني ، وبأن عاطفتها القوية تختفى تحتستارمن الصمت والجمود المحير .

ولكني لم أكن أعرف مدي هذه النفس ، ولشد ما أخطأت ، حين أرسلت إليها على أثر وصول خطاب اعتزالها ، كتاباً كنت فيه سخيفاً وقاسياً لقد ظننت أن الفتاه تلعب بي وتسخر منى ، وضاقت نفسى بهذا الباب

الموارب ، فكتبت إليها أقول : إن هذا الاعتكاف لن يكون إلا بالنسبة لي وحدي .

(لماذا يا سيدتي تتعبين نفسك بالتكلف لإنسان لا تحسين له في قراره نفسك شيئاً ، لماذا تكلفين له هذا الجهد ، لماذا لا تكوني صريحة فتعتذري عن لقائه ، أعتقد أن ذلك يكون خيراً من أن تمضي ويمضي إلى شيء أشبه بالنفاق . . »

.. وكان ردها على عاصفاً ، كان عبارة عن حمم من الألفاظ النارية ، كان أشبه بمقاطعة عنيفة .

..ووقفت أنظر في ألم إلى حبي الحالم المتهدم ، الذي أضعته بحماقتي وعز على أن أنهزم أولا ، وعز على أن أقطع هذه الرابطة التي بدأت في صورة حلم من الأحلام . . فتجاهلت هذا الخطاب ، وأرسلت إليها أعتذر ؛ فلما التقينا وسألتني خجلة ، عن الخطاب الذي أرسلته ووصفته بأنه سخيف ، قلت لها في دهشة مصطنعة : أي خطاب ؟ إنه لم يصلني شيء مثل هذا !

فقالت في رقة : إذا وصلك بعد فأعده مغلقا ، ولا تفتحه .

* اليتيمة

لقد احتواني نازع إلى العزلة .. فلا
تبتئس مني ؛ إنني أصهر وأتطهر وأحترق

أمضينا فترة أخرى من الحيـاة ، كنت أحس فيها بأن « زينب » لا تتحدث عن نفسها إلا لماما . . وإذا سألتها اقتضبت الإجابة ، وردت في عبارتها التقليدية ؛ إنها لا تحب أن تكون سائلة ولا مسئولة .

وإنها لم تسألني مرة واحدة عن » خصوصياتي « إلا ما تطوعت أنا بأن أقوله لها .. وطفقت أبحث عن السر الدفين في أعماق ذلك القلب . كنت أقول لها إنها فاترة : ودليل فتورها هذان النهدان الفاتران ، المنكفئان ، في تراخ واضح . وكانت تحاول أن تبدو جميلة ، ولكن الألم القائم في أعماق النفس كان ينكشف دائما ؛ ويشف ، على أطراف الكلمات .

وكدت أجن لهذه النفسية المضطربة ، أحاول أن أستشف ظواهرها

فلم أصل إلا إلى القليل . كنا نتحدث فى الموضوع الذي ستكتبه لمجلة فينوس وقلت لها إننى أحب أن تكتب تحت عنوان « أبى » . قالت : إننى لم أره ، لقد أحضرونا لرؤيته وهو على فراش الموت .. قلت : اكتبي تحت عنوان « أمي » .. قالت : لا أذكر أننى رأيتهـا ، وأحسست بالألم الدفين ، أن فجرت هذين الجرحين ، وآلمت هذه النفس ، ولمحت مدي الفجيعة التي تحيط بهذه النفس ، والتى تغطيها مظاهر الحياة العامة بطبقة رقيقة من الابتسام المصطنع ، ودفعني هذا إلي معرفة هذا الكنه المجهول ، غير أنى تراجعت ، إذ خيل إلى أنني سأكشف الضماد عن جراح لا تزال تنزف

وأردت أن أعرف قصة زواجهـا ، غير أنى خشيت أن أفجر جرحاً جديداً ، ووجدت نفس الغموض في الإجابة ، ولم أصل إلى شىء أكثر ثم تجمعت لي أطراف أخري من بعض الأحاديث عن مرض عصبى عنيف ألم بهـا ، بعد الزواج ، كاد يودي بعقلها ، لولا أن أنهت حياتها الزوجية ، إنهاءاً مسرحياًمفجعاً.

ومضت نفسى تتساءل فى أعماقي ، هل كان كهلا غنياً ؛ على عادة أهل الريف ، عندنا ، وأنها زفت إليه بغير رضاها ؟

ووقف السؤال فى نفسى حائراً .. وما سر هذا المرض الذي ألم بها في تلك الفترة ، فنقلت على أثره إلى المستشفى ، وأمضت فترة غير قصيرة وأرسلت إلى قصة العدد الأول من « فينوس » .

وكنت قد شجعتها على كتابة القصـة ، بعد أن ضقت بذلك الشعر

المنثور والمعاني الغريبة المفزعة ، التى كنت أراها خلاله ، ولا أعرف سرها أو مصدرها . فكتبت صورة حزينة لمست منها أنها تصوير فترة من حياتها . .

« وقفت أجوس بناظرى خلال الحجرات ، متأملة الأرض التي كنت أركع على ركبتي لأنظفها ، ومن ورائى تقف هذه العانس تلهب قدمي بسوطها المتدلي من يدها ، كأنه لسان كلب يلهث .. ورحت أدق بقدمي على هذه البلاطة المتصدعة ، ورجع إلى صوت عمتى ، وهى تصرخ بي : أعيدي تنظيفها ! وصرخت بدوري في وجه عمتي : هذا البلاط يجب استبداله يا سيدتى .. لأنه يذكرنى بأنني كنت أثقل عليه حسب أوامرك !

كان ذلك منذ عشرين عاما خلت ، حين كنت أقيم مع عمتي فى هذا البيت بعد أن فقدت والدي منذ سنواتى الأولى .

وكانت عمتى سيدة متغطرسة ، متكبرة ، قلما تبدو منفرجة القسمات ، ولعلها كانت تعتقد أن الجبين المقطب المتجهم ، من علامات العظمة والعزة .

أدهشنى أمرها ، حيناً من الزمن ، ولكن .. سرعان ما ألفت هذا التصنع كلما كنت أراها ، تضحك لنفسها ، فأقترب منها لأسألها حاجتي ، فاذا ما وقعت عيني عليها ، وانتبهت لذلك لبست قناعها .. فانتفخت أوداجها ، ورفعت أحد حاجبيها ، وراحت تخاطبني بطرف لسانها فأرتد خائفة .

ولما بلغت الحادية عشره ، رأت عمتى هذا السن مناسباً لأن أترك

المدرسة وطردت الخادم التى كانت تعمل عندنا ، كى أحل أنا مكانها .

ومضت الأيام الرتيبة تمر بى وأنا أنتهى من عملي الجديد ، لأرقب عن كثب ، وأتأمل تصرفاتها ، فى ألفة مزاجها العجب والملل .

وكان بالبيت غرفة موصدة ، وكانت عمتي تدخلها مرة كل أسبوع ، وتبقى بها زهاء ساعتين بعد أن تحكم الباب خلفها ، ثم تخرج متوهجة العينين حزينة الملامح ، وتدلف إلي حجرتها لتفرغ من نحيبهـا . . وكنت أعطف عليها فى هذه اللحظات القصيرة من الزمن ، وحاولت أكثر من مرة أن أسألها عن هذه الغرفة الموصدة ، لأنظفها كما أفعل في باقي غرف الدار . . فكانت تجيبني بأنها غرفة عمي الذى توفى من زمن ، وأنها ترتاح لتنظيفها بنفسها فعجبت لهذه الإجابة المبهمة !

*

وانتهزت فرصة تغيب عمتي عن الدار ، ودخلت غرفة عمى لآخذ منها بعض المجلات على أن أردها قبيل حضورها ، ولكن العمة وصلت قبل أن أعيدها ، ودهمتني فى غرفتي ، ووقع عليها النبأ وقوع الكارثة ، وانهالت ـ لا تسعفها قدمها ولا يدها ـ فى القصاص مني .. لم أدر لم كل هذه الثورة ، أمن أجل المجلات وقد كنت مزمعة ردها ، أم من أجل اقتحامي الغرفة الموصده ، وكان هذا أمر طبيعى محتمل الحدوث ، أن أشاهد غرفة من غرف الدار الذي أقيم فيه ، فما كنت في قصر من تلك القصور الغامضة التى نقرأ عنها ، ولا أنا أعيش فى عالم الأسرار ! ..

لم أقنع بكل هذه الثوره ، وأقسمت لأكشفن أمر عمتي ، وما يجذبها إلى هذه الغرفة المكدسة بالأوراق والكتب ، وما يجعلها تحرص على إحاطتها بغموض زينه لها جنونها .

نعم ، لقد انقلبت عمتي إلى شيطانة ، بعد هذا الحادث الصغير ، وما عاد لهدوئها النسبي أثر ، وراحت تعاملني معاملة قاسية .. فأحببتها أنا بدموعي التي حبستها ببسالة زمناً .

تحينت الفرصة المناسبة ، لغرضى ، فقد مرضت عمتي مرضاً أقعدها فى الفراش ، فأخذت المفتاح ، وذهبت إلى الغرفة الموصدة ، وجلست إلى المكتب ، ورحت أفتش أدراجه وفجأة استرعانى كتاب صغير . . وجدت على غلافه اسم أبي .. وأسرعت إلى باقى الكتب وهالنى أن أجد اسم أبي منقوشاً عليها كلها .. إذن فهذه غرفة أبي ، أنا .

لم أستطع وقتها ان أقدر شذوذ عمتى وحمقها .. إذن فهى تحب أخاها حباً جنونياً وتتخذه مثلها الأعلى فى الرجل .

.. لكن استطعت أن أقدر شيئاً واحداً فقط ، هو استئثارها بمتاعه وتقمتها على لأننى ابنته .. وانتظرت على مضض شفاء عمتي ، وخرجت من الدار إلى بيت زميلتي الوحيدة ، وشاءت الأقدار ألا تطول إقامتى عند صديقتي ، وجاء ثري متقدم السن لخطبتي ، فقبلته للوهلة الأولى .

وبعد عامين من زواجى ، قرأت إعلان بيع بيت عمتي ، فذهبت إليه

مرة أخري ، ورحت أدق بقدمي على هذه البلاطة المتصدعة ، وصرخت بدوري فى وجه عمتي : هذا البلاط يجب استبداله يا سيدتي »

*

هذا موجز هذه القصة ، فيه شيء قد يرفع الستر عن جانب من حياة هذه الفتاة الغامضة .

ومضيت أتساءل عن السر الجاثم الضخم ، الذى يربط بين هذا الاتجاه نحوالصوفية ـ نحو الله ـ نحو تصوير الماضي وآثامه فى صورة الاعتراف . وبين هذا الغموض والإسراف والتحفظ معى ، والعصبية التي تبدو في حديثها ، إذا ما طلبت إليها أن تذهب ألى الأهرام أو إلي حديقة الحيوان ، أو أي مكان مكشوف .

ما ذكرت النيل مرة ، ولا القمر ، ولا الرحلات ، ولا شاطيء البحر إلا امتعضت ، ولم أعرف السر في أنها تكره هذه الأسماء وتشيح بوجهها .

وعللت ذلك بأن لها معها سراً .. وأنها لا بد تحتفظ بذكريات غير سعيده ، وكنت أنظر إلى النساء ؛ اللواتي يصادفننا فى أماكن العمل ، وفي الأندية ، وفى كل مكان ، فأدهشنى ، كيف تتعلق نفسى بتلك الفتاةوهي أقل جمالا وبهجة وروعة وإشراقاً . . من هؤلاء .

ومرة أخري كتبت إلى أنها جنحت إلى العزلة . .

« .، أتدري أنني ما زلت أستشعر الحرج فى كتابةاسمك .. ولقد كان قلمي يضطرب بين أصابعي ، وأنا أسطره فى رسالتى السابقة فاعذرنى .

ولـكنك الإنسان الوحيد الذى أطلعته على خبيئة من نفسى ما كان ليعلمها إلا الله وحده . .

فلا تعجب إذن من أي تصرف يمليه علي حبي .

لقد احتواني نازع إلى العزلة .. فلا تبتئس منى .

عند ذلك يبقى إبليس وجبريل في بيتي .

وعند غروب كل شمس تتألق نيران الححود ، وتنطلق تراتيل كالعويل

وتتردد أناشيد باكية .. إننى أصهر ، وأتطهر ، وأحترق .

خيالاتى ، وأوهامي ، وأحلامى ، أدرجها أكفانها .

وأنطلق من سفح الذكريات إلى أعالي القمم . وأغور فى أعماق الهاوية

ثم أغمض عيني عن تلك الهوام .. وأنأى بروحي وجسدى .

لقد احتوانى نازع إلي العزلة .. فلا تبتئس منى »

*

وأحسست أننى سأقاسى أياما شداداً .. أحرم منها ، خلالها ، وزاد فى قسوة شعورى ؛ أنها قد حطمت كل وسيلة للوصول إليها ، فلا هي تخرج ولا ترغب في أن يـكون لها تليفون .. وبذلك بقيت حزيناً مهموما . .

« زيزى ..

« أكتب لك هذا وأمامي باقة من الورد الأحمر ، الذي تحبينه ، إننى أنظر إليها بحنين وشوق ، وقد أزال عني شبح الأزمة النفسية العاصفة التي بى ، اعتزالك واعتكافك . .

.. إن العزلة لم تكن يوما ، علاجا للأزمات النفسية التي تمر بالناس، بين آن وآن .. ولكنه الإفضاء ، الإفضاء إلى الانسان الذى وهبك روحه ونفسه وإحساسه وحياته جميعاً . . ولست أظن أن الحياه رخيصة إلى هذا الحد ، حتى يضيع لحظات السعادة وتنطوي بهذه السرعة ، الحياه تبدو أمامى فاترة ، ونفسي منقبضة .، الحق أن الضباب الذى يغمر السماء ، إنما يغمر نفسى أيضاً ، والقلق يمزق قلبى في قسوة ، ويسحق كياني سحقاً ، ويدفعني فى بيداء موحشة من الألم .

*

والتقينا أخيراً ..

كانت جلستنا فى الكازينو جميلة .. بالرغم من قصرها ، فقد شابها هدوء ورقار .

كنت قد استيقظت مبكراً فرحا ، بذلك اليوم الحلو الجميل الذي سيجمعني بهذه « الانسانة » التي ملأت قلبي ، كأول أنثيأحس بأنها تسمو بنفسى ، وتشعرنى تماما بشخصيتي . .

كنت في حاجة إلى هذا القلب .. كنت أتطلع فى ظلمات الأيام إلى ذلك الضوء الذي يستطيع أن يغمر قلبى ، فيفزع تلك الأشباح ، وخيوط العنكبوت ، ويرد إلى قلبى ، قلبى النقي ، الذي كان دائماً مصدر الخير ، بعض الهناء .. وبدت من بعيد تتهادي : وخفق قلبي .

كانت تسير بقامتها الهيفاء ، وتحرك قدميها فى رشاقة ، وقد ارتفع

صدرها ، كأنما لا يشغلها شيء .. وكأن قلبها لا يخفق وهى تقترب حثيثاً من المكان الذي أنتظرها فيه .. وتلقيتها ، كما يتلقى المشوق ، أمله المرقوب

وركبنا الترام ، وتسللت الشمس إلينا من النوافذ ، ونحن نقطع طريق الهرم . كانت النظارة السوداء تغطي عينيها .. الحلوتين ، وتبدو كأنهـا لم تنم طويلا . .

وأخذت أحدثها فأحسست أن أعصابها تهتز ، وأنها فى حاجة إلى وقت حتي تعود إلى طبيعتها .. من يدري ، لعل هذه الأماكن ، شهدت صحائف مظلمة من حياتها ، كانت لا تريد أن تواجهها ثمة .

وأفسدت بكلماتها القاسية الحادة ، شعوري الشاب القوي ، وأماتت المعاني الحلوه الناعمه ، التي كنت حريصاً علي أن أهديها إليهـا ، وتبددت عاطفتى تماما .. وجلست معها علي طرف المائدة ، أتأمل هذه الظبية النافرة .

كانت قد أحست أنها أفسدت الجو ، بعد أن أصرت على ألا تصعد إلي الهرم ، فأخذت تقص على قصة هروبها من القرية ، وحضورها إلى القاهرة مختفية .. كانت تتحدث ، وهى تنفث دخانها فى الهواء ، وتشعل السيجارة بعد الأخري ، كان فمها الحلو الدقيق ، يتبدى جميلا ، ذلك الصباح ، وقد غرست فيه سيجارتها المتوهجة ، كانت تقص علي ذكرياتها . . وأنا أتطلع إلى وجهها كطفل صغير ، ثم غمرت الشمس المكان ، وأفاضت على تلك الخمائل الحلوة من أشعتها ، وبدأت (زينب) تتألق وأخذت نفسها تصفو وغاضت الحدة من حركاتها وألفاظها . . وتجلت روحها الحلوه النقية التي

اختفت فترة ، خلف مظهر غضبها . كنت أتطلع إلى وجهها الحلو ، وقد خلا من التطرية ، فبدا أشد جمالا مما كان وهو غارق في الطلاء .

كانت الشعرات الخفيفات التي تبدو هنا وهناك ، من أجمل ما رأيت ، وخلعت نظارتها فبدت عيناها ساحرتين ، تأسران قلبي في فتون غريب . أما يداها فقد كانتا آيتين من آيات الفن الذى صنعه الله .

.. وداعبتها ، كنت أقول لها قبلا ، إن يداك قصيدة شعرية ، فأردت اليوم أن أبلغ من نفسها فقلت : ليست يداك اليوم قصيدة شعرية . . فبهتت ولكنها أسرعت تجيب في صفاء نفس : بل هي ملحمة . . أليس كذلك ؟

وكان صدرها يروع ويأسر ، فقد تغاضت فأهملت القميص مفتوحا ، فبدا في مواجهة ناظري جانب منه .. كانت هي تقص على ذكرياتها الحلوة المريرة ، وكنت أنا أنقل الطرف بين هذا الوجه الاغريقي ، وذلك الصدر المرمري الجميل ، ومضت تتابع قصة طفولتها وشبابها ، وكنت أستمع إليها وأنا تائه ، كنت مشغول الخاطر ، أدير في ذهني مسائل كثيرة متعددة متشابكة .. كان أبرزها : كيف أستطيع أن أصل إلى هذا القلب . .

ورجوت أن يطول البقاء في هذا المكان الجميل ، ودعوتها إلى الغذاء فرفضت في انزعاج وإصرار ، وما أن أحست بأننا قد بدأنا نلتقي بالروح حتي قفزت واقفة ، وصممت علي أن تعود إلى القاهره

وعبثا حاولت أن أطيل البقاء ..

« .. الحمى تعاودني من جديد ، فتحول بيني و بين رغبتي الحاره في أن أقضى معك هذا الصباح باحدي الحدائق ..

كان بودي أن أعبر ممراتها معك ، حينما تذهب وأنت تطالعني بجديدك وقديمك ، ولكن الأقدار التي تفرض إرادتها ، أرغمتنى على قضاء هذا الصباح بالفراش ، بعد ليلة كفاك الله شرها ..

معذره عن تخلفي ، ولسوف أكون حريصة هذه المره ، كي لا يطول رقادي ، فألقاك » .

*

ناقص من اصل المصدر
٤٩ الى ٦٥

. . يبدو أن فى طبيعتي ، هذا الشيء الغريب الشاذ ، فبقدر ماتنفر نفسى من الوعاء الذي تتكاثر عليه الأيدي ، فانى أحس بالإشفاق نحو النفوس التى ارتطمت ، وأخطأت . .

. . وتذكرت كيف بدت « زينب » من وراء قلمها النثرية ، وهي تستغفر وتتطهر ، وتتجه إلى الله

. . ولكنى لم أقف عند هذا الحد ، بل اندفعت أتصل بواحد ، وآخر وأسأل وأبحث ، وكنت إنما أبحث عن الآلام المريرة ، التي أضيفها إلي مانفسى. من الام

. . ومع ذلك فقد أحسست بأنى أزداد حبا لهذه الفتاة .. إن حبي ينتقل فجأة .. و بغير وعى ، إلي مرحلة جارفة ، لا أدري سببها ، وزاد فيها ، هـذا الغياب الطويل !

. . وامتزج الحنان ، بالاشفاق ، بالحب ، فاشتعلت نفسى من داخلى بلهتب صارخ ، وبدا على الاعياء !!

*

« زيزى . .

أكتب إليك هذه الليلة ، وأنا أحس أنني أولد من جديد فى عيد ميلادي، هذا الميلاد اليتيم ، الذى لا يحتفل به أحد .. يكفى أنني أحس أنني فى عيـد ميلادي ، هذه المرة ، قد وقف إلى جواري ، قلب نقى .. أعرف فيـه الوفاء

الصادق ، والحب الأكيد ، مهما حاولت أن تخفيه . . أنني أحس بالعيد حقا بعد أن أهداني الله هذا القلب الذي عاهدني على أن يقف بجواري في معركة الحياة المريرة فهل أنت حقا ، على استعداد لأن تقفي بجواري ، حتى تنجاب عني متاعب الظروف التي أمر بها .

. . إن الحب كلمة جميلة ، ولكن معناها الواقعي ، هو التضحية . . وعبء التضحيه ، يقع عليك أنت هذه المرة ، فهل أنت مستعدة التضحية .

.. أنني أثق بأنك تفهمين رسالة المرأة المحبة ، هذه التي تجمع رحيق الزهر لصاحبها الانسان الذي يعيش على الزاد .. زادها وحده .

.. هذه رسالة المرأة المحبة ، ملهمة الفنان ، والموحية إلى المفكر

.. إننا في حاجة إلي أن نتبادل الحنان ، بعد أن حرمناه في دنيا الناس، كوني لي أما وأبا وأخا وأختا ، أكون لك ..

إنك تحملين قلبا يتدفق بالحنان والشوق واللهب ، فلماذا تغلقين صمام هذا القلب عني ، وأنا أحق الناس به .

أنت ذلك النهر الغني ، أقف عليه أنا فأجده يكاد يضن على حتى بشربة الماء ، وهو يلقي ماءه الكثير في جب عميق الغور فلا ينتفع به أحد ولا يكاد يحس به .

« احمد...

منذ ساعات كانت المعانى تتدفقمن رأسى تدفقا سريعا .. وما أن أمسكت القلم لأكتب حتي توارت واختفت ، ولم أستطع أن أحصر شيئا مما طال التساءل فيه بيننا .

ـ ما تريد ؟

ـ لقد أفصحت

ـ وأنا أجبت

ـ لقدأبهمت الاجابة

ـ لأنك لم تصرح لفظا

كل هذا كان يدور بيننا ، وأنت تصر على أن تتلقى جوابا كاملا لما لمحت إليه تلميحا .

سوف أتحدث أنا حتي لا يحرجك هذا الدوران .

إننا التقينا ولم تكن عندى فكرة عن أننى سألقاك على هذه الصورة .. هذه العاطفة الكبيرة .. ثم لمحت إلى شيء لا أدرى إن كنت قد فهمته حقا

أنت تسألني أن نرتبط برباط يجمعنا معا الى النهاية .. رباط يلائم نسيجه التقاليد ؛ ويتمشى مع رغبه سامية منك .

.. والواقع أني لم أفكر في هذا الرباط ... بل لقد استعبدت الفكره عن حياتى نهائيا .. ولعلني أغير رايى فى يوم ما ، ولكن الي الآن .. لا

أما الحب ، فأنى أقف قليلا لاقول لك أنني لم اتحقق بعد من حقيقة شعورى نحوك .. ولا استطيع أن أعاهدك على هذه العاطفة ،الا بعد أن أكون مستعده لان أقوم بكل واجبات الحب التي يفرضها على من تلقاء نفسه .. وأن أقوم بتلقى حقوقي أنا فيه ..

.. أذن دعنا نجتمع علي صداقة خالصة كاملة ..، وعلى هذا المعني الأدبي الذى التقينا عليه .. أن فى هذا التقارب والتكاتف صفة الدوام ، لا يشوهه شيء ولا يفسده

هذا ما استطيع أن أضع يدى فى يدك لا عاهدك عليه .. وهذه رغبتى الصادقة في أن يكون رمز تعارفنا.

ولك الخيار اولا واخيراً ... وسأنتظر ردك على هذا ثم أتصل بك على اساسه .

*

كان هذا الخطاب قنبله في محيط عواطفي . اي سر وراء هذه النفس .

هل هي تحب ، .. أم ماهو الاتجاه ، .. أنها تلقانى متحفظه وتتكلم متحفظه ، وتمضى متحفظة ، وتغيب عن موعدنا فجأة .

.. واذا تعاهدنا على اللقاء ، واحست هي باننا قد قطعنا الي الامام خطوات ، تعللت بالمرض ،وتركتني أقاسي وحـدي أعنف ساعات الالم .

وليس فى أستطاعتي أن أعمل شيئا ،.. لااستطيع أن اقتحم عليهاوحدتها ولاجوها التقليدى المغلف ..

أنه أنسان واحد ، ذلك الذى يسطيع أن يفعل ذلك ، . . . أنه ذلك الانسان الذى أمقته من كل قلبي . . . .

والعجيب أن يصل هذا الخطاب في الوقت الذى كنت أحسم الامر فيه لا نهـي هذه الرابطة المجهدة بين أنسانين قد ارهقتهما الايام ، وخلقت فى نفسيهـما وحياتهـما الـكثير من العقد ..

أنا رجل متزوج ، أشقي باوقاتى ووحدتى ، وقد احس هذه العاطفة الجارفة فلا أجد لى سبيلا الي أن أوافقها أوأنصرف عنها . . وأنا حائر بين عملى وبيتي وحبى . وبين الامال التي اترقبها والخطوب التي تلحق بي وهي فتاه لها ماض يجهدها . . . . ونفس معذبه ، تتردد كل يوم بين الخطيئة وبين التوبه ، .... تريد عبثا أن تتطهر ، وبين عاطفة جديدة تريد أن تجرفها ولاتعترف بها..

وتخدع نفسها ، بان تقول أنها صداقه لاحب ، وأن للصداقة صنفة الدوام والاستقرار ....

...... أذن فهـي تريد أن تطول هذه الرابطه وتمتد ، وتخشى سن أن تقتلها حين نطاق عليها اسم « الحب » . . أو حين نحولها الى زواج . .

وبالرعم مما يحمل الخطاب من قسوة ، تبدو في عباراته الواضحه ، الا انه يدل على مدي رغبة « زينب » في أن ترتبط بى ، بعدحاولت أن أقطع علاقتـي بها وانتهـي ..

لقد اجهدنى هذا التردد ، وهذا الغموض ، وهذا الموقف المتميع الذي لا تريد هى ، ان يكون واضحا ، ... ولا تريد ان تدعه يأخذ مداه الطبيعى في ان تذهب الرابطه الى غايتها ... من الحريه والانطلاق ...

ولـكني تذكرت انني لن ادع « انسانه » مثل هذه في منتصف الطريق والخير لي ، ان اعيش لها ، وان اكون ذلك الضوء الجديد الذي يضفى على حياتها بعض الراحة والهناء ...

لشد ما يذهب بى الخيال ، الي انها فتاه قاست من الناس،وعانت ، وانها لم تجد فيهم ؛ ذلك الرجل الـكريم النبيل ، الذى احبها مجرداً ، او صادقها عن حب خالص ... وهى لذلك لا تصدقني ، وتخشي ان يكون هذا كله ليس الا مظهراً جديداً ، لصورة مكروه ، من تلك الغاية ! أو محاولة جديدة من المحاولات الأثمة ...

.. اذن فهي ازمة ثقة ، انها لم تقتنع بعد ، وتلك طبيعة المزاة .. تشك كثيراً وتتحفظ كثيرا ،وتحترس دائما ..

ولكن الوساوس عاودتني من جديد

فقد قابلت صاحبي القديم ، وأخذ يحدثني مرة أخري عن « زينب » أنه يعرفها ، كان يلتقى بها فى دار احدي الاحزاب النسائية ، .. وكانت له صديقة ماجنه ، هي صديقتها ..

وقد روت له صديقته قصصا من مجنون « زينب » .. وتبذلها ، حتي أنها ضبطت ذات مرة ، في منزل ..

وقص على صاحبي أنه التقي بذلك الطبيب ، الذى حمله الى رسالة رديئة ..

واحسست أن صاحبي مكلف من قبله ، بان يصور لي الفتاة فى صورة الاثم والفجور ، حتي يصرفني منها ..

وروى لى صاحبي كلام الطبيب ، وحذرنى ودعاني لأن ظل بعيداً وقال عن لسان صاحبه : انها ليست من بيئتى ولا تصلح لى .. ولست ادرى ما كان يقصد بالبيئة

وظننت أن الامر يسير وفق خطة مرتبه . فقد لقيتني « زينب » ، فكانت فاتره مجهدة ، متعبة .. وكانت تجيب على اسئلتي باقتضاب عجيب حتي خيل الي انها هى التي أوعزت للطبيب بان يرسل الي هذا الصديق لا كون انا الذى يقطع علاقته .. ، أو يشفي من حبه !

وقالت لى « زينب » أنها ما مازالت تنتظر رد خطابها ، وقد اسرعت بان

أرسلته اليها

« زيزي

« أنا أحبك على أي وجه أردت أنت أن يكون هذا الحب ..

يكفي أن أقول لك ، انني أحس بانك جزء لا يتجزأ من كياني و شخصي ونفسي .. وانني لا استطيع أن انفصل عنك لا بالفكر ولا بالخيال ولا بالواقع ولك أنت أن تضعي هذه الحقيقة في القالب الذى تحبين .

أن أردتيه رباطا مقدسا ، فانا أحس أنني بلغت به غاية الامال . . وان اردتيه حبا يبذل فيه كل منا لصاحبه ما عنده من عاطفة واحساس ، ويعيش فيه أوفى ما يكون المحب لصاحبه شبابا وجمالا وامتزاجا ، فلك هذا ..

وأن أردتبه لقاءاً وودأ وحديثا وعاطفة مجرده ؛ فانا ارضى منك هذا ولا ارده

وأن ارديته هجرانا ....

فسوف أعيش لك ، اشم ذلك العبير الذي تشمين ، وأسال عنك من بعيد ، لأ عرف عنك كل شيء ..

وأ كتفي بان أحس بانك تعيشين معي في هذا الكون ،وقريبا مني، وأعلل النفس يوما باللقاء ..

أنني أحبك ، .. ولا اشترط شيئا احبك لنفسك مجردة ، أحبك علي صورتك وطبيعتك . أحبك سواء قبلت أن تكوني لي .. أو لا تكوني » . .

زينب

فتاه من الريف ، غادرت القرية ، الى القاهرةهربا من الظلم .. فاستقرت فيها،وتزوجت ثم طلقت .. كان ذلك منذ خمس سنوات ..

.. وأمضى وأنا أفكر في هذه السنوات الخمس ، واحاول أن استشف أيامها وشهورها ، باحثا منقبا وراء ذلك الماضى !!

اما هي فلا تريد أن تتحدث عن الايام الخوالي ، وتقول دائما : دعنا نعيش في الحاضر..

ولكن قطعها النثرية التي قرأتها كانت ترسم لى صوراً قائمة ؛ فاتصورهذا الماضى مهيبا .. ، وتكبر هي فى نظرى لان لها قصص وماض وتاريخ .. وعندما عشت « ليلة » كاملة ، مع هذه الكراسة المعطرة التي تسجل فيها تلك القطع كنت أحس عاطفة عجيبة ؛ كنت أري كان هناك اشباحا تروح وتجيء . . . ، من الالفاظ والكلمات .. ولكنها لا تعطي صوره واضحة !

.. أن « زينب » نفسها لا تحاول أن تبدو امامي ، كاملةالقسمات ألنفسية أنها تريد أن تضع الظلال هنا وهناك ، لأظل أحس أنا ذلك المجهول ، الخفى

أم أن فى الامر سر آخر ، فهي حريصة على الا تطلعني علي ذلك الجانب من حياتها ، وتفضل أن تحتفظ به لنفسها .

قلت لها ذات مره : . لماذا لاتدون مذكراتها :. قالت لى : أن هذه

المذكرات أحرقت أكثر من مرة .. وهى لذلك تخشى أن تدونها مرة أخرى

ولكنى كنت أعرف السبب ، أنها تتهيب ذلك الماضى ؛ ولا تريد أن تعاود النظر فيه تفصيلا .. حتي لا تصطدم به ..، أنها تراه غولا أسودا ، مكشراً عن انيابه ، .. ، تراها تخافه ، أم تخشى سحره وأغرائه و بريقه ..

أنها تنظر اليه كأنة شيء قد اسدل الستار عليه ، ولكنها لاتلبث أن تذكر بعض أخطائه ، فتكتب قطعة من الشعر المرسل تصور فيها هذا النفور من الماضى وتحاول الاتجاه الي الله ..

ولكن أكانت جاده حقا ، وهل ليس في حياتها فى الوقت الحاضر رجال قد يحولوا بينها وبين اتمام التوبه ، ويدفعونها الى نقضها بين حين وحين

وكذلك كانت تنظر الي الاماكن .

كنت أحس هذا الامتعاض ، عندما اذكر شاطيء النيل أوسفح الهرم أو حدائق القناطر الخيرية .

كنت أحس صور الماضى الكريه ، تبدو فى عينيها . ثم تحاول أن تخفيها وتصرفها .. ، تري ماهي هذه الالام التي مرت بهذه النفس .

.. أنها فى سن السادسة والعشرين ، وقد عاشت بغير حنان الاب والام الذي حرمته باكره ، ثم ماهي قصة ذلك السوط الذى كانت تحمله عمتها

فى قصة الغرفة الموصده ، .. ثم قسوه الاخ الفلاح .. الذي لا يزال يفهم الحياة على تلك الصورة البدائية ، رغم أنه متعلم كما تقول .٠

إنـها لذلك تحب نفسها ، وتسرف فى هذا الحب ، ·· وهى تحب الادب وتحرص على أن تعيش فى أجوائه ، .٠ ولـكنها ،ـ ولست أدرى لم ـ تنفر من الصحافة والصحفيين ؟؟

ولطالما ذكرت هذا الوسط الصحفى بامتعاض .. وقست في حكمها على بعض الناس ..

ومما قالت لى أنها تعيش مع شقيقتها ، شبه وحيدتـين ، فى حياة ليس فيها تجديد . . فيهاذلك التكرار ، لولا تلك الزورات المتقطعة لدورالسينما أو زورات الطبيب الصديق الذي يكاد يكون هو « الرجل » الوحيد الذىيدخل البيت .

... ولست ادرى لم حرصت زينب على أن تحدثني عن فلان ، وفلان من معارفها ، ... لقد كنت أحس بالغيرة تضطرم فى أعصابى ومـع ذلك فقد تـكلفت الأبتسام !

وفهمت منها أنها كانت متصلة ببعض الهيئات النسوية ، ثم أنصرفت عنها . ويبدو .. أنهـا كانت قد أنقطت عن المجتمع ثمـة .. وأن حالتهـا النفسية قد أدت إلى أن تعتزل وتنصرف إلى بعض القراءات .. كانت تكتفى خلال تلك الفترة من حياتهـا ، والتى يبدو انهـا لم تـكن قصيره . بان تقضى

على تراث شبرد ، أو سمير اميس ، ومعها كتابها ، فتجلس وحيدة ، في ركن منعزل تقرأ ، .. ولا ترفع وجهها عن الكتاب..

وكذلك كانت تتردد على « بجيل » .. بعد أن تتركنى ، وكانت تقول أنها تنفرد بنفسها ساعة هناك .

.. وكانت هذه اللمحات المتقطعه من ماضيها ، تصور لى شخصية فتاة عربيه الاطوار ، ولم تتخل « زينب » عن تحفظها هذا الامر واحدة عندما جلسنا في كازينو الهرم ..

ولطالما كانت تبدو فى مكاتباتنا ، فى صورة المازومة ، كانت تقول أنها تريد أن تبكي فلا تستطيع .. ، كان ذلك يستدر عطفي بصورة مزعجة ، كنت احس أننى أمام فتاه فقدت الحنان ، ولقيت الحياة فى صورة الحرمان و الظلام

واذا الححت عليها فى أن تذهب رحلة على الاقدام؟ الى كان ما ، صارحتنى بانها تحرص علي الاتجهد جسدها ، فى سير أو رحيل ..

وتستدرك فتقول أننى أحب نفسى ، النفس التي لم تجد الحب من أحد..
.. وكانت تذكر أللل دائما .. ، في الوقت الذي كنت أحس فيه بالقلق ،ولها في الملل قصيدة من الشعر المرسل:

أنت أيها القادر القوي .

لماذا خلقتني كما خلقتهم .. وعلى شاكلتهم ...

أن أخطائي كاخطائهم ، وحسناتي كحسناتهم ، ونذري كقرابينهم ، ونسكي

كعباداتهم . .

لماذا لم تخلق لي جديداً ، ومادمت قد ابتكرت لي خلقتي هذي . . فلماذا لم تبتكر لي كونا مثلها ...

وعندما استبدعتني حواء أخري

لماذا لم تبتدع لى ابليسا أخر

فوق رأسي سماء

وتحت قدمي أرض وماء

وبينهما هواء

والملل الوليد يملأ كل هذا بصرخاته الاولى

ثم ينمو ويكبر وتتلاشى صرخاته ، شيئا فشيئا

ولكن أقدامه تشتد ، فيدب معنا على الارض

ويقتحم البيوت ويدخل حجراتها ...

ويجلس علي ارائكها ، ويندس في جوانبها ، ويبعث معاني محتوياتها و يتربع فوق الموائد ، ويتجسد تجسد الاواني الصغيرة التي عليها .

و يقف شبحه بهدوء الى جوارها

أنه الملل زميل لا يميل الصحبة ، وقد عاهدناه على الوفاء

*

ومن هذه الصورة الشعرية تبدو لوحة الحياة التي تحياها « زينب » مظلمة راكدة ، آسنة .. ، أشبه بماء المستنقعات

.. أنها قد عرفت الحياه في صورها المختلفة ، فهى قد أحبت وتزوجت ومارست كل شيء ، وعرفت الرجال فهى ليست الفتاه الساذجة أو الغريزة وقد أكسبتها كل هذه الالوان تحفظا وحرصا ، .. و نفوراً ، فهي تحاول أن ترد نفسها عن أن تنزلق ، وقد مضت تصور الرابطة بيني وبينها ،على أنها صداقة

وبعد أن قطعت المرحلة الاولى ، واجبت ، عادت ، تبدو فى صورة أكثر تكلفا ، صورة قلت فيها الرسائل ، وتباعدت فترات اللقاء ...

وأحسست بانها تزور عني

أنها أصبحت تحاول أن تبدو امامي أشبه بزميلة ، لاتلميذة أو محبة ، و.. أنا تحت افع العاطفة ، والرغبة في أحاطتها بمعانى الود ... أحرص على أن أدعها على سجيتها ، وقد كانت هي فى أول الامر تشكر لى هذا الوقت الذي أمنحة للقائنا ، وتراني قد قدمت لها مزيداً من التضحية .. غير أن هذا انطوى بعد ذلك وأخذت تدفعنى دائما لان أكون أنا الذى أطلب موعدها ،وكانت ترتضي الموعد ثم تغيب عنه ، عامدة متعمدة ، ... وكانت تنتظرني أذا تخلفت رسائلى ، وتصمت ، فاذا بدأت اكتب لها ، أرسلت إلى خطابا سريعا ، أدعت أنه يسبق خطابى ، وبدت هي المتفضلة ..

و بدأ وقتها يضيق باسم المرض ، فاذا جاءت كانت كمن تدعونى أن

أشكرها على أن منحتنى من وقتها .. ، فقد أحست بانى أحبها ..، ولاحظت من روح خطاباتى هذه العاطفة المتاججة .. فاوجزت فى خطاباتها وجعلتها أشبه بالخطابات التقليدية .. بضع سطور تحمل معنى عاما .. ليس فيه حرارة ولا عاطفة

فى أول الامر ، كانت تكتب لى بعد ساعة من فراقى ، فلما أحست أن العاطفة تدب فى نفسى دبيب الحمى ، .. تراجعت ، وخففت الخطى ، وعادت تكتب بطرف أنفها .. أن صح هذا التعبير ، هى المرأه دائما

كانت فى أول الامر تطلب الى ان اصارحها بشعورى نحوها ، فلما أحست بانى احبها الى درجة العبادة ، نفرت .. ، ورأحت تتعلل بالمرض والاهل ! . ثم عادت فالقت قفازها ، وقالت أنها لم تتبين عاطفتها نحوي

غير ان هذا لم يطل حتي تكشف عن شيء جديد ، فقدعاودت دوراتها على صورة مزعجة ، .. وكادت اعصابى تتحطم !

كانت قصة المرض التي ترويها ، تفسد على ايامى وليالي ، واجدنى حائراً لا اعلم كيف اعمل ، ازاء هذه الفتاه التى احببتها ، ثم حالت الحواجز دونها ، فلا انا استطيع ان ازورها ، ولا ان اراها ..

.... اجدنى مضطراً ان اقول لك انى احطم اعصابى يوما بعد يوم عندما تعجز الوسائل عن ان تمكنني من الاطمئنان عليك ..

واظل الساعات حائراً ... وابيت الليل قلقا ..

.. واراني مضطراً ، لان اقرع بابك لأسأل عنك مهما كانت النتائج .

لذلك فانا ارجو أن تفكرى الامر في جيـداً ، وتضعين له حـد ..

انني احس بالمرارة العميقه عندما اعلم انك مريضة ،او تقضين الايام على فراش المرض وانا لا استطيع ان افعل شيئا .

انك تدعينني انصهر كا لحديد ، اتمدد واتقلص ، ولا تواجهيني الا بذلك الهدوء . . .

الحق انني لا استطيع ان احتمل اكثر من هذا .

انها مشكلة ضخمة عاتيه في حياتي ولا شك . .

ان حاجتي اليك هي حاجة الرغبة الخالده، لا اللحظة العابره ، انه لا أمل في شيء عظيم يرد الي نفسي الحياة والضياء الا ان يكون آتيا من طريقك

ولـكني احس بانني كلما اظهرتك على نفسي عاودك الصمت ؛

وكانك معجبة بهذا الذي تفترسه الحمى من اجلك

ثق ... بانك ستحطمين انسانا غير خليق بأن يحطم »

وكان الرد قاسيا ....

انا لا استطيع ان « امنحك » اكـثر من الصداقة .. بل انني في هذا القدر اتعدي حدود المجتمع الشرقي الـكريم ، وتقاليد اسرتي

ولـكني لاابالي ولم ابالي ، ولن ....

اما فيما يختص بالعاطفة ، فيؤسفني ان اواجهك بالحقيقة المره .. ان عاطفتي

قد ماتت ... ولن تبعثها انت ولا غيرك

ولن تبعث ابداً ، الا لربى وكتبي وهدفى من الحياة ، فما جعل الله .. من قلبين

اما الزواج ، فانه لن يكون ، وان حدث فلاسرتى الخيار « من اقاربى » كما جرت العادة عندنا ؟

واعتقد ان الموضوع قد اصبح واضحا ، وضوحا ، يقطع اعادة الحديث فيه

ـ جنازة حب ـ

فى الوقت الذى اتلقى فيه نبا هزيمتى فى هـــذا الحب ، أحس بان نفسى الاخرى القابعه فى أعماقى ، لاتريد أن تسلم . .

واحس بالألم يعتصرها فى قوة وعنف . . ، كـأنمـا تريد الا اقطـع فى الأمر وأن أدع الباب مواربا . .

أننى اندفع فى الحب ، . . واكشف أوراقى ، وأقول لصاحبى كل شىء ، حتى يحس بانى بدونه سوف لا أستطيع الحياه . . . وإذا هو يتأبى ويتكبر ويذهب غاليـا فى التيه والدلال . . . ، وأحس أنا مرة أخرى بالكرامه ، وتصدمنى شخصيتى الأخرى . التى لاتحب الذل ، ولا ترضى بالعبودية . . ان الفتاه معقدة الشخصيه الى ابعد حد .. انها انسانه محيره ،شخصيهالانثى ، التى اندفعت فقاست ، وأصطدمت وأرتطمت . . ومضت بها الحياهالى غير طريق واحد ، وانتهت أخيراً الى . . . ، وهى مصدوعه القلب ، محطمهالنفس فاتره العاطفه !

وقد لاحظت خلال جلساتى الطويلة المتعدده ، أنها منطويه على نفسها ، لاتتحدث عن ماضيها ولاشخصيتها الا بحذر شديد ، ورفق بالغ ..

وبدت أول الأمر مندفعه الى لقـائى ؛ ثم تراجعت خطوة فخطـوات ،

عندما كشفت لها عن عاطفتي ، مضت تعاندني عناداً خفيا ، كانت أشبه فيه بمن يرخي الحبل ولا يقطعه ، وحرصت على أن لا تكشف عاطفتها ، وأن تقف الى حد الصداقه ، لأكون دائماً في موقف الاستجداء . .

ولم اضق بهذا ابداً ، فقد كنت في حاجة إلى روح ، اشغل بها ذلك الفراغ النفسي العنيف ، . . غير اني لاحظت أنها تحرص على بعض الصداقات القديمه وتحرص على أن تحدثني عن لقائها بها . . بالرغم من أنني كشفت لها غير مره عن كراهيتي لهؤلاء الناس ..

.. ولاحظت في طبعها الفتور الدائم ، فليست هي مرحه ضاحكه ، أو مشرقه مستبشرة ، وليست تمضي في الحديث بحيث يحس المحب أن لها عاطفه مشوقه فرحه ، للقاء من تعرف أو تحب ، وأنا أحب المرأه المرحه الدافقة الحيويه .. وابغض سواها . . وهي تحب الوحده وتسرف في هذا الحب ، حتى لتتمنى أن تعيش حياتها وحيده ، بل أنها تحس الوحده والناس يتحدثون اليها كما تقول . .

. . أما كراستها التي تركتها عندي بضع ليال ، فقد كشفت لي عن عبارات لست أدري كيف كتبتها .. منها « الافعى » ، رائحة النتن الكريه من الجرح القديم ، اثامي التي تعددت ، وتنحل انحلال خلق الاثيم ، فاتخبط في الوحل حتى العنق ، عودي يا ضاله ، بؤره ، . . ، دوامه خبيثة »

.. ومن هذه العبارات استكشفت صورة واضحة لنفسية تميل إلى الاعتراف ، وتحاول أن تتخلص من ماضيها ، بأن تفدي به إلى الورق ، فاذا ذهبت أتصور حياتها الماضية ، وجدت صوراً مؤلمه من اليتم ، والحرمان ، والفشل في الحياه الزوجيه ، . . واتصالات بالمجتمعات ، والشباب اللامع ،

والشعراء على وجه اخص .. والاطباء الذين يميلون إلى الادب .. ويبدوانها قد ارتطمت مع القدر ، فاندفعت فى طريق مظلم ..

ولعل سر هذا ، هو تلك القيود المفروضه على حياتها الاجتماعية ، والتى من شأنها أن تخلق الوسيلة الى تحطيمها وهى قائمه .. ثم عرفتها أنا ، .. بعد هذا الماضى الطويل !

بدت لى أول الأمرعاديهجدا، ولكنى أحسست من توالى الاتصال بها أن لديها فتورا .. ، برودا نفسيا وعاطفيا ، وأنها تحاول أن تدارى النقص الذى تعانيه من ناحية الثقافة ، بان تبدو ارستقراطية فى تصرفاتها وحديثها

. وأحسست أخيراً أنها ليست المرأة التى تمنح الرجل أو تلهمه أو توحى اليه ، وإنما قد تصلح لشيخ كهل عجوز ، لم يعد يجد من الفتيات من يلتفتن اليه ، ..

كنت اظنني وجدت المرأةالتى تمنح من ذات نفسها ، فاذا بى القاها فقيرة إلى عطف الشباب وحنان المحب !

فاذا ذهبت تحدد موقفك ـ وانت المحب الذى بلغ به الحب غايته ـ لم تجد الا حساساً فاتراً . .

وعندما يصل الحب إلى الذروه ، ويكتب الانسان لمحبوبته أروع خطاب ثم يلتقى بها فاذا هى لاتكاد تحس به . . . ، لاشك أن الحب ينهارمرة واحده ؛ ويتحطم على صخره الانانيه . . ، ويتلاشى بعد أن يسفر الموقف عن شخصيه امرأة ، مضطربه النفس ، غامضه العاطفه ، قد تحطم فى نفسها كل معنى للامل أو الا شراق . .

. . أنها تحاول أن تتجه نحو الصوفيه الموهومه ، وتريد ان تربط نفسها بالله ، في الوقت الذي لاتستطيع فيه أن تتحرر من أهواء النفس والجسد .. فاذا جاء ذلك الذي يريد أن يحنو على النفس الجريحه ، ويبعث الثقه في الروح الهامد ، بدت له في صورة من الاستعلاء والفتور

. . ومن هناك كان حقا على أن أدعها ، . . وأن احطم حبي .

ـ أميره ـ

وأنقطعت علاقتنا فتره . . على أثر ذلك الخطاب . .

وكلما فكرت فى أن أرسل لها خطابا ناريا مزلزلا ، انهى فيه هـــذه العلاقه ، أجدنى مترددا ، ويصيح الانسان الثانى الكامن فى أعماقى يقول . لم لاتدع البابا مواربا . . شأنك فى كل مرة !

. . وبينا ، أعيش فى صورة القسوة التى خلفتهـــا « زينب » فى نفسى صورتها وهى تشيح بوجهها وتتجاهل العبارات النارية فى رسائلى، والعاطفه الضخمه . . حتى . . ، والتى كانت تصفها فى أيامنا الأولى بانها لاتستحقها . . أذ بى أتلقى مجلة « المبادىء » ، وتقع عينى فجأة على قصة عنوانها « القلب الجريح » كنت أعرف كاتبة هذه القصه ، . .

وبيننا أنا فى غمرة هذا الضجر النفسى البالغ أخذت أقرأ القصه التى كانت تصور كيف التقينا أول مره ، أناو « أميره » . .

وعجبت ، وقد مضى أكثر من عام ونصف . . على طى هذة الرابطة ، كيف عادت « أميرة » تكتب غنى على هذه الصورة الحاره ، . .

وبدأ لى أننى كنت ظالما ، وأننى حطمت قلبا .. أحبنى بعنف ، وجعلنى كل شىء عنده

وتبين لى شبح ظل يعيش معى طوال ايامى .. ، شبح الانتقام الالهى الرهيب منى لاجل هذا المرأة التى ضحت بكل شىء .. فى سبيلى

ثم هجرتها أنا ، وتجاهلتها ، عندما اسلمت الى روحها الكبير

تذكرت كيف انصرفت عنها عندما بدأت تحبنى بعنف ، .. وكيف كانت تجرى المحاولات المتعددة للقاء ، أو الحديث .. وكنت أنفرمنها وأمضى بعيداً .

وعدت أذكرها ، واقارن بين صورة وصورة ،وعاطفة وعاطفة فيبين لى وأنا تحت سلطان هذا الالم النفسى العاصف ـ كيف كانت « أميرة » معى مثال الوفاء والنبيل .

.. أنها كانت تكبرنى فى السن قليلا ، ولكنها كانت شابه الروح،قوية العاطفة .. تعيش فى جوها الضيق المحدد ، ولكنها تحلق بعيداً ..

وذهبت اقارن فوجدت المدى واسعا ، والفارق شاسعا . . لقد كانت « أميرة » فى يوم من الايام دره الصالونات .. كان جمالها وفكرها وثقافتها كلها توحى اليك بانك ازاء شخصية ضخمة جبارة . ولكنها كانت الى ذلك ذات قلب رقيق ، يفيض بالحنان .

.. وعدت الى نفسى باللائمة ، كيف أننى أنصرفت عنها، تحت تأثير أشياء تافهة ؛ الآن احتمل اصعافها من « زينب » ...

ولست أدرى لم فترت عاطفتى ثمه . وتطرق الملل الى نفسى ، العاصفة المتمرده ، وكنت أحس بان الحت على هذه الصورة المكررة . التى لاتمنح النفس حاجتها ، ولا تتيح للمحب أن يتلقى أو يعطى .

كل هذا كان قد دفع نفسى الى الحجاب ..

. . كانت تعكر لحظات وحدتنا ، أو صفائنا ، بأشياء . . كانت بالنسبة لها عاديه . أو ضروريه ؛ . ولكننى كنت أحس بانها تمزق « الجو » الذى يجب أن القاها فيه ، تمزقه على صوره قاسية !

وأنصرفت عنها ، أوكدت ، .. فى نفس الوقت الذى كانت قد صممت على أن تحطم السور الاخير الذى يفصلها عنى ..

لم يكن يمنعها من أن تضحى بكل شىء ، الا شيئا واحد ، هو انها ترآنى مترددا .

. وأستوحشت أيامى ، وبدت صوره « أميرة » امامى فى كل لحظة ، وعدت الى مذكراتى اقلب تلك المرحلة الهامة من حياتى وأعيش فى رحلتها القصيرة ! أعيش فى رسائلى اليها ورسائلها الى .

اميرتى

.. هل استطيع أن اصف لك ليلة أول العام، تلك الليلة المفردة الخالدة فى تاريخ حياتى ، واحدى ليالى الهناء الجديد الصادق المبذول بين شاعرين تعارفا على الحب

.. كنت ياضياء ايامى أمس ، فوق الوصف ، وفوق الجمال ، وفوق الفن والروعة والاشراق !

. . لقد دخلت مساء أمس مرحلة من مراحل الاستغراق ، فرأتيني على شاطىء بحر خضم ، كان للعود اناته ، وصدى موجاته ، وكان الجالسون أشبه بالاشباح العائمة التى تكافح الامواه .

. وكنت أنت أشبه بذلك الضوء الذى يبعثه الفنار السامق فى ظلمة الليل . وهو يهدى السفينة . التائهة فى أغوار المحيط !

نور حنون هادىء رقيق ، ينساب على صفحة الماء ويلمع ، . فى هذه الليلة رأيتك تكشفين لى عن مكنونك ، على صورة لم أعهدها من قبل ، صورة تزيد ايمانى بك ، اضعاف ما كان قبلا

.كنت أيه من ايات الله ، عندى أنا الذى جزت الحياه وعرفتها ، ودفعت بمنكبى فى اغوارها , وارتطمت بالكثير من صعابها والامها واشواكها .

. وهكذا اشرق العام الجديد على مثل مالم يشرق عام من قبل !

. وفى أول يناير ، فى صباحة الباكر ، صابحك النيل ، فوقفت على شاطئه . ، ليت شعرى كيف استقبلك ، . لعله وقف لحظة عن الجريان يرنو الى ذلك الوجه الصبوح الاغر . وقد حسب أن القمر طلع فى دورة جديدة ، أو أن البدر قد تالق تحت ضوء الشمس

أميرتى

كنت اترقب ذلك النور ، ترقبته على مدار السنين ، وترقبه على رؤوس اعوام ، وترقبته فى كل ليلة ناعمة ، ووراء كل طيف ، وفى كل زهره ، . وفى كل عطر !

وبحثت عنه فى كل مكان ، وأمضيت الاعوام أفتش عنه .

كنت أعرف أن هناك انسانه ! انسانه واحده هى التى تهمنى ،وكنت

ثق بانها موجودة ، وأنها تعيش

وأمضيت الاعوام ، أناديها من . وراء حجاب،ومن خلف ستار ، . وهى لا تجيب

كنت أثق بانني سالتني بك عرضا ، . حتى جاء اليوم ، اليوم الحبيب المشرق البسام . فكنت أنت ياأميرتى ، التى فهمت مكنون نفسى ، ووصلت الى اغوار قلبى ، تخفق لك:

كنت أنت الجوهرة المفردة ، . التى طال بحثى عنها فى رمال الصحراء .. ترى هل هذا هو حال النفس الشاعره، اذاأعطيت لم تجد واذاوجدت فقدت ، واذا التقت ذات يوم بالخيط الذى يربطها بعالم النور ،كانت معه على ذلك الحرمان الذى يستعذب معه الالم وتضوى فيه الاحساد .

حصلت حكمتك يارب ، تجمع بين الناس وتفرق ، على قدر مقدر ، واعجاز معجز :

ولو تقدمت الساعات ، أو تاخرت ، لتحول التاريخ ، .

رباه ،لك حكمة فيما قدرت وقضيت .

ولك حكمة فى أن تؤخر ، موعـداً عن موعـد وتقـدم حدثا على حدث وتجمع بين قلوب نأت ، وتباعد بين نفوس تقاربت والتقت

لقد تحولت حياتى تحولا عجيبا .

ومنحت « أميرة » ايامى نورا واشراقا ، وملأت روحى بكيانها على صورة من العنف . وأحسست اننا كان لابد أن نلتقى

ولكن ذلك لم يطل حتى بدأ الملل يتسرب الى نفسى

*

أميرتى :

« لست ادرى لم أجد فى نفسى منذ ايام ذلك الانقباض ، وذلك الغموض وهذا الانطواء العجيب:

. ذلك اللون القاتم الذى يمر بى احيانا فيطيل المقام .

خيالك ، لم يبرح خاطرى ، لحظة من يوم ، ولكنى ارانى لا احس بتلك الحرارة الدافقة التى تضطرم بها اعصابى ، ولا اجد ذلك اللون العاصف الحاد الذى كان يفيض بى . ، كانما وضعت اعصابى فى ثلاجه ، فى فصل الشتاء .

لست أجد تعليلا لهذا الشعور ، أو ذلك الفتور

احس كانما يدفعنى شىء مجهول لا اعرفه ، الى غير ما احب وأهوى أراك فى خاطرى ، قائمة مشرقة . ندية كالصبح المتفتح فى أيام الربيع ، ولكنى أراك قدسية تتعالى صورتك على خواطرى . ذلك شعور الجلال . شعور النفس حين تعيش فوق الدنيا وفوق الاهواء والغايات .

أرانى عازفا عن كل شىء ، ثم ارانى منقبضا من غير الم ! ، منطويا من غير ما سبب ، زاهدا فى دنياى ، وفى اعماقى ابهام عجيب !

أن فى نفسى دروب ومزالق ، ومناطق مظلمه

وأن نفسى لتنتقل بين ادوار وأحوال ، لست أعرف كيف أصفها بالرغم من أنى أحسها .

هل أنا من ذلك النوع الذى يقتله الرى ويشبعه الظماء ! لست أدرى .

لعلها شكوك وأوهام ، مرت بقلبى ساعة .. ولكنى بعد ذلك محب صادق، أننى لا احب القدر التى تغلى ، ولا المرجل الذى يفور مهما احببتيه أنت ، وأردتينى عليه

أننى أحب النار المستمرة الهادئه . التى لا تنطفىء أبدا ولا تصير رمادا ولا ترتفع السنتها فى الجو أرتفاعا كبير . ولا احب الحرارة التى تفجر الاناء . .

أحب القلب المتقد الذى لا يخفت له اوار .

وأبعض الريح العاتيه التى تقتلع الاشجار .

لقد راضنى الحب بعد الجموح الى ذلك اللون الهادىء الذى يرى كل من بعيد ، واضحا ، ولا يرى ظلالا . . والذى يرى دائما ولا يختفى أبدا :»

وعاد الحب قويا من جديد

« أميرتى »

كان اخر ما وقع عليه بصرى أمس . صورة الراهبة ؟

وظلت بعد دلك روحك من حولى تطوف وطيفك يوم . لقد ملات فراغ ايامى . واهديت قلبى الصورة المونقة المطلولة بالزهر والعذى .

ورايت فيك صورة المرأة حين يلتقى فيها الجمال بالجلال . والخلق بالفن

والشاعرية بالايمان . والعاطفة بالعقل

كم أحبك أيها الروح النبيل وافنى فى حبك . حتى ليستوعب كل لحظات يقظتى ومنامى .

كم تضيق بى الدنيا . فلا أجد الهناء . الا فى ذلك الصوت الباغم المحدث لقد وجدتك بعد طول البحث . وكاد أن ينطوى معك الامل .

كان ادنى قبل ان القاك لونا من الحرمان المذاب فى كؤوس اللوعة لكنه لم يكن اسودا عميق السواد ..

وكانما كنت استشعر حرارة اخلاصك قبل أن اكتشفها بالفعل كانت نفسى تهتز وتشرق بالمسرة ، كنفس العابد فى الهزيع الاخير من الليل ، وقبل أن يطلع الفجر .

أعرف أن بك بعض مابى ، ايها الحبيب ، ولكنك تعتصم بذلك الكبرياء الجميل .

وبعد فأنت دنيا قائمة من العبقرية والجمال

*

أميرتى ..

كان الناس يقولون أن الحب طريق المجد ، حتى جئت أنت فقلت أن الحب ليس وسيله لغايه ، وأنما هو غاية الغايات ، وأن الحب نفسه هو قمة المجد أنا أؤمن بان حبك وحده ، فوق الامجاد . وفوق الغايات . لقد صيرت

أيامي نورا واشراقا وجمالا .

وجعلت الحياه امامى قطعة من الفن ، ولوحة من الحب

لقد بعثت فى حياتى وعملى وكيانى ، روح جديد من الفرح والسرور .
وحولت اهدافى .

أنه حب من نوع جديد فريد . يقع فى هذة الايام الطافحة بالشهوات
والاثام . والاهواء .

ولكن مهلا .

فانت معى ، ولكنك لست معى

أنت معى لانى اذكرك فى كل منظر جميل .

وأنشدك فى كل موسيقى وفن . ، فاقول ياليته كان معى ! أن هذا الحب
جد مسكين ، . أنه يحمل فى كل خطوه معنى الحرمان واللوعة والالم .

فليس بيننا ذلك اللقاء الحر ، أنت مقيدة الى مكانك لا تبرجينه ، ومن
حولك اهلك . فاذا التقينا ظل اكثر ما فى أنفسنا قائما ..لاسبيل الى الافصاح
عنة ، وبقى كل ما نريده دون أن يتحقق .

هل سنلتقى يوما ، ويضمنا بيت واحد .

أننى أترقب ذلك اليوم .

معركة

(الاسكندرية : الساعة ١٢ منتصف الليل)

« نام الخليون ملء جفونهم ، ولم أنم بعد ، لا لأنى قلقة مضطربة ، مفكرة ، ساهرة ، فانى بعيدة كل البعد عن هذه الانفعالات ، حيث أعيش هذه الايام كطفلة فى الخامسة من عمرها ، تفكر وتحلم وتحس من غير وعى .. ارتمى على صدر أمى ، لتداعب شعرى ، وتهدهدنى كى استعيد ما فاتنى من حنان !

.. لا اريد ان افكر فى أحد ـ حتى أنت ـ لا لأنك لا تستحق التفكير بل لأن تفكيرى هو بذل ، أقرب الى التفانى!

فانا عندما أفكر أعصر قواى ، وأحساسى حتى أشعر أننى فنيت فيمن أفكر فيه ..

فاين ذلك الأنسان الذى يعوضنى بذلا ببذل ،، ولوكان البذل ماديا لهان الأمر ، ولـكنه بذل دم وروح .

.. قد تعرض وتقول ـ أنا ـ وأنا لا اعترض فاقول لا .

وأن كانت لا ، غــير قاطعة ، لانى أحس بأنك تحبنى ، ولـكن بقدر حب الذى يستطيع أن يحب أكثر من هذا . لك العذر لأنك مضطر رغم ارادتك أن تحب اهلك . وأن تجامل وأن تعطى الغريب والقريب ما يحتمه الواجب أو المجاملة ..

.. آه ، الف آه منى .. كم أنا جبارة نهمة .

ولكن ماذنبى ، وقد خلقنى الله هكذا ، خلق لى قلبا يتسع للحب بمقدار لو تجمع فيه حب الأحياء جميعاً منذ بدء الى الخليقة الىنهايتهالوسعهم

فهل يستطيع أى أنسان ، مهما كان ، أن يحبنى هذا الحب ، الا ترى أن هذه الأستحالة توشك أن تهلكنى .

جميل أن تحبنى ، وجميل أن ابادلك الحب .، ، ذلك الحب العف المثالى الطاهر الرفيع الذى لا يعرف غير نداء روح لروح ، وعناق فكر لفكر وتسليم قلب لقلب .. ، وقد لا يضرنا أن نفنى العمر نحرس هذا الحب و نرعاه وقد لا يضرنا أن نسلك فى الحياة طريقا يضمن تحقيق مرماه ، .. لـكن ذلك يتطلب منك جهداً جباراً !

يتطلب منك أن تعيش بفكرك وحسك وجهدك ـ لى وجدى ـ فلا تفكر من أجلى ، الا فيما يعود عليك بربح مادى ، ومعنوى ، لتشعرنى أنك تفكر من اجلى , ولا تشعر الا بما يتقدم بحبك فى طريق ألخلود كل يوم خطوات لأشعر أن حبك فى ازدياد ..

وأنت حتى الآن تفكر بقدر ، وتحس بقدر وتكافح بقدر .. ولم يستطع حبك حتى الآن أن يزلزل جوانبك ، ليدفعك فى طريق الخلود الذى أرجو لك .. ، ذلك لأنك ملول مضطرب تتنازعك أوهام الناس .. ، وأنا لا افهم

الحب وهما ولكني أفهمه دينا وإيمانا . أنه قوة تدنيك من العرش الإلهي فتزداد إيمانا وبذلك تستطيع أن تحلق • أن قلبي وقلبك بين يدالله وروحي وروحك تنطوى على كلمة من كلماته وهو الذى يجمع بين قلبينا ان شاء ويسمع كلمته العليا بشأننا إذا أراد • لقد هيأت لك بسفرى وقتا طويلا لا أدرى متى ينتهي لكيلا تضيق بيوم تعودت فيه أن تراني أو بميعاد ألفت مخاطبتي فيه • أنها رياضة تمنيك على تفهم عاطفتك على ضوء عقلك لتدرك ان كان حبك صحيحا قويا صادقا أو أنه مجرد تآلف ولدته بعض الظروف • ولكي تطمئن إلى أن عاطفتك جديرة بالتضحية والبذل والتفاني فاذا ثبت ذلك لك ولي أنها كذلك سوف أقف بجانبك حتى الموت مهما تطلب الموقف مني من تضحيات .

أما الآن فإن أحوالك تخيفني أحيانا لأني اعتقد أن الحب الصحيح لا يشوبه التردد والأحجام • وليس معنى هذا أنني أطالبك بجرأة ترفع الستر عن حبنا بل العكس أنني حريصة على صيانته وأدعوك إلى حمايته من من كل عين . ولكني أكره التردد فيما تقدم عليه من مشروعات أدبية إذ أن كل مشروع أرسمه لك انما هو ومضه من ومضات حبنا ولعلك تذكر أني رجوتك أن تنشط وتكتب سلسلة من الدراسات المركزة تنشر منها ما يتفق مع روح كل صحيفة فأين ما قمت به •

أنت تعرف أن حرارة عواطفنا لافحة ولا سبيل أمامنا لتلطيفها غير تحويلها إلى قوة مفكرة تؤدى رسالتها بالأسلوب الذى يتفق معنا ·

أن أملى أن أجعل منك رجل الإنسانية لهذا الجيل سواء أقدر لى أن تكون لى أولا تكون ، وعلى هذا الأمل أعيش · بقى أن أسألك كيف تعيش هذه الأيام · أتذهب إلى السينما مع أهلك فى الصباح وتنام فى المساء؟ أننى أشفق عليك وفى سبيل هذه الشفقة أعذب نفسى · ولو أننى سايرت جنون عواطفى لجعلتك لا تستطيع أن تنظر أو تتكلم أو تبتسم أو تأكل أو تنام إلا بإرادتى وكما أحب · ولكنى أشفق عليك لتنعم بالحياة وفى ذلك سعادتى ...

* * *

كان هذا الخطاب من أميرة هو بداية المعركة الفاصلة فلقد تأثر به كبريائى إلى أبعد حد وأحسست أنها تعاملنى كطفل صغير فكتبت إليها خطاباً عاصفا ...

« كان خطابك مخيبا للآمال ... أنك قد صورت نفسك فيه بصورة الإلهة التى تسكن السماء فأنت تتهمينى بالهدوء · نعم أننى أحب فى هدوء ورصانة وصمت . أن حبى يتميز بالهدوء ولكنه الهدوء الذى يضمر القوى الجبارة الكامنة الواعية ... أحسست بعد خطابك بقسوة القدر . كنت أتطلع إلى تلك التى فهمتنى ولكنها عجزت عن أن تحقق أملى ... »

ويبدو أنى كنت قاسيا · كنت أضيع الكنز الثمين . دون أن أدرى ما أفعل . هى حماقه من حماقاتى المتعددة ، التى اندفع إليها دون أن أدرى ثم اندم عليها بعد أن يكون الندم لا ثمن له ... ولكنها كانت نبيلة . فقد أرسلت إلى تعاتبنى فى رفق :

« احمد · من قال لك أن آمال الحب تحييها رسالة أن تخيبها رسالة ! إذا كان الأمر كذلك فان رسالتك الأخيرة — هذه — كافية لخيبة آمالى فيك ، ولكنى اعتقد أن حبنا عميق وأقوى من أن تزلزله الزلازل ، أو تؤثر فيه الأحداث · لا أذكر أننى كنت عاتبه أو متشددة أو قاسية فى رسالتى · بل على العكس . أن كل حروف من حروفها تحمل من حرارة عواطفى ما يملأ قلوب خلائق الدنيا . أما أنى أرى حبك قليلا وهينا وأطلب المزيد فذلك حق . أننى أطلب المزيد وأحب القناعة فى كل شىء : إلا فى الحب · ذلك لأنى اعتقد أن قلبى الذى يخفق بين جوانحى يمتاز على قلوب الناس جميعا بما حباه الله فى صفات يعجز قلبى عن تصورها ويرغب حسى فى أن يشعر هذا القلب بالحنان الهائل العنيف الجبار ·

ثم هب أنى أرى حبك وسيلة للفن والخلود الأدبى فلماذا أريده كذلك ألم ابتغ بذلك خلودك وعظمتك . ما الذى يعنينى منها . وسيوضع تاج هذا المجد فوق رأس غير رأسى بحكم القانون . ولن يجرؤ أحدنا على أن يشير للناس عن صانع هذا التاج .

أليس حبى الرفيع هو الذى يضحى بكل شىء فى سبيل تحقيق ذلك · لقد كان يمكن أن يتهم حبى بما لا يتفق مع صدقه وجلاله . لقد كنت أمل

لتخليدك من أجلك وحدك . ومن أجل من لهم الحق فى المباهاة بمجدك سامحك الله . كأنك لم تفهمني بعد .

أننى أحب فى ألم واتألم فى مرارة . وأبكى فى صمت . وأفكر فى عمق وأحس فى حيرة . وأصلى كثيرا وطويلا . واسأل ربى . ما عساه يكون .

قل لى بالله ألا تحس فى هذه اللحظات بأن روحى معانقه لروحك فى كنف الله بعيداعن أضاليل الدنيا وأباطيل الوجود .

أرأيت فيما سمعت أو قرأت انسانه تؤثر الخلو إلى روح بعيد لايصلها به غير شعاع من نور . وحب من نور . وكلاهما يعيش فى دنياه . بعيد عن الآخر ، راضيا بما قسم الله له .

احمد : أننى أبكى . أتصدق . وبدمى الهتون الحار . أتلمح دموعى . أتحس توهجها وحرارتها . اوه . ما عساى أقول . انى عند ما أقول لك إنى أشفق عليك انما أعنى انى أشفق عليك من حبى الطاغى . أفهمت ... »

وانقطعت علاقتنا ثمة . وكنت أرى يومها . أن الأمر لابد أن ينتهى إلى هذا الفتور . أن الحب الذى لا يتجدد والذى يعيش على صورة واحدة لابد أن يفتر ويضعف . ومن وراء ذلك نفس فيها كبريائها وتجاربها .

عند ما التقينا للمرة الأولى . وعند ما نظرت إليها النظرة الأولى . كنت مشوقا إلى امرأة تفهمني وأفهمها .

وقد وجدتها ووجدتنى . كان فى نفس كل منا فراغ عميق . فجاءت

العاطفة أشبه بالحريق الذى شب فى الهشيم . ارتفعت ناره إلى الفضاء ارتفاعا كبيرا ثم هبطت . كان اسمها يهزنى من الأعماق وأنا يافع . كنت أعني أن أراها ثم وضعتها المصادفة المحضة فى طريقى . ومضت الأيام وشغلت بها شغلا عجيبا .

كانت لا ترفض لقائى ، ولكنها كانت لا تمنحى شيئا .

وذلك كان رأبي منذ عام . أما الآن فان القلب قد تحول إلى لون من الاحساس بالظلم والقسوة تجاه قلب أحب . ولم يكن فى وسعه أن يفعل أكثر مما فعل وله من وضعه الدقيق ما يغفر له . حقا . أى روح هذه التى تطويها نفس « أميرة » ثم أنظر إلى جحودى وانصرافى عن هذا القلب الكبير . وإذا بى اليوم أقبل أن أقف إلى جوار هذه الفتاة المعقدة التى التى لا تريد أن تبوح بحبها . والتى ما تلبث بين يوم ويوم أن تحتجب ، بعذر أو بآخر ، وهى ماتنى تراوغنى حين تقول : أن عاطفتنا قد ماتت . وأنها لن تتزوج ... ولكن يبدو أنني بهذه التجارب اكتشف من نفسى مناطق جديدة . ان النفس الانسانية قد تتودد إلى من يسىء إليها وقد تنصرف عمن يهبها كل شىء .

أن « أميرة » كانت تفهم رسالتها معى حق الفهم . كانت تؤمن بأنها « ملهمة » وكانت تؤمن بى كفكر . وتنظر إلى ادبى وإنتاجى بعين التقدير بل لا اغلو إذا قلت انى لم اصادف فى حياتى امرأة فهمتنى بهذا العمق .

أين هذه الملهمة المحبه ... من تلك المتمردة ... التى تقول أنها تحب نفسها من فرط ما لاقت من انصراف الناس عنها .

خيوط من النور

« احمد : لم تـكن هذه الفترة الطويلة التى انقضت منذ أن تركت لك رسالتى الأخيرة . فترة عزلة . ولا مرض ولا رحيـل . وإنما كانت فترة انتظار لـكلمة منك تأتينى . وأنا على شوق إليك . ولـكن الوقت الطويل يمضى . والأيام المرجاه تحجل . وما من كلمه واحدة تشعرنى بأن ذلك الإنسان الذى مد يده معاهداً على صداقة ترتفع عن كل معنى مألوف . مازال على عهده : « زينب » .

* * *

وردتنى هـذه العبارات إلى الماضى مرة أخرى وأحسست أن الفتاة تضمر الحب . ولـكنها لا تريد أن تبوح به . وإلا فما معنى هذا الخطاب . أن العبارات التى حواها صادقة الدلالة على شعور أكيد لاسبيل إلى إنـكاره أو تجاهله . ولـكن لماذا هذا الجو الغامض . لماذا تضع الضباب الـكثيف فى سمائنا . ومضت الأيام ونحن نلتقى . ولم أجد وسيلة لأن أصل إلى شىء من السر الغامض المنطوى تحت ستار الصمت .

ولـكن شاء الله أن يضع تحت يدى كل شىء مرة واحدة .

لم ألبث أن تلقيت من زينب قصة لمجلتى فينوس ، قالت لى أنها قصة ليس لها خاتمة . وعدت إلى البيت وأنا أحس أننى ظفرت بكنز . فلقد أحسست منذ أن قرأت الـكلمة الأولى فى القصة ، أننى أمام بعض الاعترافات

١٠٢

ولست أدرى كيف سمحت زينب بأن تتركها معى . ولكنى أحسست بعد أنها انما كانت تريد أن تطلعنى على جانب من ماضيها ، على طريقة تبعث فى نفسى الاشفاق .

أنها كانت حريصة على أن تكشف لى هـــذا الماضى على طريقة الاعترافات المكتوبة فهى لا تستطيع أن تتحدث عنها . ولكنها تستطيع أن تكتبها وأن تضع فى الصورة من المعانى ما تدافع به عن اخطائها . وكذلك فعلت فى قصة « عيد الميلاد » وما كدت اقرأ هذه القصة حتى ضقت بها...

وفجأه وجدتنى اندفع إلى كتاب فى مكتبتى . أنه كتاب الأستاذ زياده وأسرعت ففتحت الصفحة التى كنت أعرف مكانها جيداً . وكانت ليلة عاصفة مزعجة أمضيتها وأنا أقرأ هذه القصة الطويلة . وأشد فى شعرى . وأضرب رأسى فى الحائط . وأقوم لأدور فى الغرفة كالمجنون .

يا إلهى ما أقسى هذا . لقد ظللت طوال شهور أربعة طويلة بأيامها ولياليها وساعاتها . أبحث وراء السر . وراء قصة الفتاة . حتى شاء الله أن يرفع الستار فجأة ودفعة واحده من هذه القصة فكان لهذا دوى شديد وعجبت كيف أجد هذه القصة مطبوعة فى كتاب بعد أن نشرت فى المجلة مفصلة على ستة أسابيع وقرأها كل الناس . وأحسست بعدى الأثر القاسى لقد كانت « زينب » تخشى أن اعرف هذا السر وتتوجس خيفة .

كنت أسألها عن مذكراتها فتقول لى أننى سأهديها إليك عندما

أموت . ولكنها رأت أخيراً أن تطلعنى على سرها بجزءاً وعلى طريقتها ومن وجهة نظرها ولكن شاءت الصدفة العجيبة أن تضع هذا الماضى أمامى دفعة واحدة وقد كتبته يد كاتب قاس استطاع أن يشعرنى بمدى الأثم الذى تردت فيه هذه الفتاة .

فقد أظهر صورتها للناس مهلهلة ممزقة كأنها مجرمة آثمة . ولم يدع لها مجالا لغفران أو متاب ولم يفتح لها بابا لرحمة أو اعتذار .

وابتسمت فجأة . وأنا أذكر كيف فرت منى ليلة عيد الميلاد بعد أن اتفقنا على أن نقضيها فى الأوبرا وحجزنا مكاننا . كانت ترتعد ليلتها من الخوف . كان فى نفسها شعور غامض غريب . وحاولت ليلتها أن أعرف ماذا ردها عن الموعد بعد أن قطعته . فلم أعرف شيئا . أما الآن فقد عرفت ... وبت ليلتى حزينا وقد عولت على أن أقطع صلتى بهذه الفتاة . حقا . لم أكن انتظر أن ينكشف لى الشر عن قصة كهذه القصة ...

أى اسراف فى الاندفاع وراء الشهوات مثل هذا الاندفاع .

وعدت أتأمل القصة العجيبة ... كان حبى قد انتقل إلى أخطر مراحله ، عندما تحول إلى الاشفاق والحنان على فتاة مريضة يقيمة . تعيش وحدها فى هذا العالم . هذه النفس المعذبة التى يصهرها ماض مثقل ، لا أعرف عنه شيئا . كنت أحس نحوها بالحزن العميق والأسى الدافق . كنت أحاول أن أقنعها بأن أكون لها الحب الوفى الذى لا يغدر ولا يخون

كنت أحب أن أكون لها الرجل الوحيد الذى لقيته فى طريق حياتها . وأنا على ثقة بأنها لم تصادف هذا الرجل من قبل .

ولكنها مع هذا كله ومع محاولاتى المتكررة لم تكن تثق بى . أنها من فرط ما لقيت من الناس . تكاثف شعور الشك فى نفسها إلى الدرجة التى كان علينا أن نمضى بها طويلا حتى تتحول من عقدتها القديمة .

ولكن سرعان ما استفاق فى نفسى ذلك « الكائن » الصعيدى الريفى الذى ظل مختفيا طويلا وراء ستار المدينة وزيفها وبهرجها وقال أتحب امرأة عرفت كل الناس ووقعت فى حبائلهم وتكون ذلك الرجل الأخير الذى جاء بعد هؤلاء .

أى عار هذا أن يشير الناس إليك فى كل مكان ويتهامسون، ويسخرون لقد كان لكل منهم مع هذه المرأة يوما قصة . أننى لا أحب الإناء الذى ورده الكثيرون .

ولكن كيف أتخلى اليوم عن هذه الفتاة بعد أن عرفتُ قصتها . هذه الفتاة التى أفسد الناس رأيها فى الرجل وفى الكرامة والعاطفة .

ووقف حائراً وتملكنى التردد . هل أمضى على الفتاة إلى آخر الشوط أم أقطع علاقتى بها عند هذا الحد ...

لقد كان أولى بى أن أتجه إلى « أميرة » التى تحبنى من كل قلبها ولكن هى طبيعة الإنسان أن يجرى وراء ما لا يملكه ...

وقلت لنفسي : ألم أكن في مطلع حياتي هاديا للناس ... مالي لا أهدى امرأة واحدة . امرأة ضالة تريد أن تتطهر ... لم يكن في أعماقي يوم عرفتها من رغبة : إلا الحب الخالص ... إذن فلماذا عندما ينكشف لي سرها واعرف ماضيها أشيح بوجهي عنها وأمضي ... وهل كنت مسئولا عن تاريخها قبل أن ألقاها .

ثم عدت فأسفت على أنني حدثتها أكثر من مرة عن الزواج ...

... ولكن القدر كان ما يزال يخبيء لي سراً آخراً ... بقية القصة أو ثماله الكأس فقد أفضيت بخواطري إلى صديقي عبد العزيز . ذلك لأنه كان على صلة باخت زينب الصغرى وكان يحبها هو الآخر . وهالني أنه يعرف كل شيء ... ويعرف قصة الأستاذ زياده ويضع يده على أبطال القصة كلها .

قال لي أنها بعد زواجها من الرجل الكهل أصيبت بالهستريا . وكادت أن تفقد عقلها وحياتها لولا أن أنقذها الطبيب . كان هو الإنسان الوحيد الذي يستطيع أن يقتحم الستار الحديدي المضروب على منزل العوانس الثلاث . وقد استطاع الطبيب أن يكون الصديق ثم الحب . ثم الزوج ... ولكن الطبيب الذي تزوجها سراً أحب أختها وقال فيها الشعر .

ولعل « الفتاة » كانت قد اتصلت بي تحت دافع طبيعتها الملول ولتضرب الطبيب الزوج المحب لأختها بحب جديد . وقال لي عبد العزيز أن هذا هو سر اضطراب زينب واختفائها وعجزها عن أن تجيب رغبتي في الزواج بها .

أنها زوجة فى الواقع . وفتاة فى نظر الناس . ومحبة فيما بينى وبينها .

وفجأة وبعد أيام قليلة من ذلك الحديث . وبينما كنت أطالع صحف الصباح وجدت نعى الطبيب . لست أدرى لم وجدتنى لأول مرة شامتا فى انسان ...

وأخذت أتصور موقف زينب . وأى احساس بالألم سيصهر هذه النفس حين تتبين أن الرجل الذى كانت تتنفس عن طريقه بالحياة قد ذهب ..

وآمنت بأنى كنت مخدوعا مضللا ... وأحسست بكرامتى وقد بدأت تنهار . ترى هل هنت على نفسى إلى هذا الحد . إلى الدرجة التى تجعلنى فى آخر الصف لا شرب ثماله الكأس الملوثة التى امتدت إليها أكثر من يد وجرع منها أكثر من فم .

وأسفت على أنى أمضى لبلى مسلم القلب خافق الطرف نحوها وحاولت أن أكتب لها خطاب القطيعة ولكن انسانى الداخلى قال لى بالله لا تفعل « دع الباب مواربا » .

ومضت فترة قطيعة ...

ولما ضاق أحمد بالأمور ولم يجـد
هناك من سبيل . سعى إلى الساحر
يسأله أن ترضى عنه « إلهة » الحب
وأن يأمرها فتحمل سهمها وتقذفه
فى قلب زينب فتبادله حبا بحب .

ووعده الساحر ، بعد أن أطلق
بخوره ومضى يهمهم فى كلمات غريبة
مبهمة . وعده بأن خطابا من زينب
سيصله قريبا .

« صورة الغلاف »

(*) نعتذر للقارىء عن الخطأ فى بعض أرقام الصفحات فى موضعين مختلفين .

عاد الحب

عزيزي أحمد .

حاولت جهدي رغم كتاباتك المتعددة الى أن استرسل في غضبي الصامت ولـكن وجدتني بطبيعتي الـكسولة أميل الى التسامح أو بمعني أصح لم أجد لهذا الغضب المفتعل أى أثر فى أعماق . فى هذه الفترة الماضية لم أفتح كتابا ولم أقرأ سطراً ولعلني أيضا لم اسطر حرفا . أنها فترة جمود تسربت الي اعماق نفسى . لعل مرد ذلك أنني أعمل عملا بدنيا فى بعض شئونى الخاصة .

عندما أنتهي من ذلك تماما . وعندما أدنو مرة اخرى الى دنيا الادب والـكتب ساتصل بك مرة أخرى محدده موعداً . الا انى أرجو فى هذه الفترة أن أتسلم منك أحاديثا تعيدنى رويداً رويداً الى دنيا الاطلاع الحبيبة .

حاشـيه : كـنت عـلى وشـك أن أبعث اليـك برسالتي هـذه حتي دهمتني عصبه الاهل فصرفتنى حتي عن أعطاء المظروف الي الخادم لارسالة .

فارجو معذرتى عن التأخير . وكان بودى أن القاك قبيل رمضان ولكن كما قلت لك شعلت حتى منبت شعر رأسى »

.. لماذا جددت الامل مرة أخري فى النفس بعد أن ماتت فيها كل الامال وأسلمها الزمن الى ذلك الفناء ، الي ذلك الظلام الى ذلك الشقاء ! لماذا عدت مرة اخرى الى حياتى ونفسى ، لتملأ الحياة بالعطر والضياء . هل أنا ضائق حقا بذلك الصوت يأتى من بعيد مره أخرى ، أم أنا فرح به وشغوف . هل أنا راض عنه ، محب له ، أم معرض عنه .

أنني من فرط حشيتي ، أحب أن أغمض عيناي ، لانسى ، أنسى أنك كتبت ألي مره أخرى

ولكن هل انقطع صوتك عليها يوما من الأيام ، لا ، وايم الله فلقد طالما ناديتني ، كان صوتك يرن فى أذنى كل صباح وكل مساء . أنه كان يوقظني من النوم فزعا ثم يذهب النوم فلا يعود الى ..

أن صوتك كان يصل الي حاداً عنيفا ، ورقيقاً ناعما حينا ، .. هناك حيثما أنظر فأجد جمال الطبيعة ، أو أشراق النهار ، أو روعة الغروب ، أو فتنة القمر ، اسمع الصوت ، صوتك ، ياتى من بعيد ، فيرد نفسي عن تذوق الجمال ويمنع نفسي

أن تحس روعة الطبيعة .

.. لقد كان صوتك يردنى عن كل جمال . كان يردنى هذا الجمال عن نفسي ويحطمه . كان يمزق قلبي ويشعرنى أنه لا جمال هناك ولا فن ولا شعر .. بدونك

أنها الدنيا العامره .. صحراء جرداء .. ، مادمت أنت هناك بعيدة معتزله قابعة ، على أحزانك واوهامك تنسجينها .

لقد طالما طاردت صوتك في أذنى يناديني ، ينادي باسمي ، الذي احببته لانه كان على لسانك عذبا حنونا كالموسيقى الرائعه .

أما أنا فقد شقيت باسمك . . لقد تجرعت كؤوس الحزن والالم والشجن في كل لحظة ، كل شيء هناك فى دنياي الخاصه يذكرنى بك . على انذره ما منحتنى من ذكريات .

... هذه « الولاعة » التي لمستها يدك ، هل تعرفين قصتها . هذا الكتاب ذي الغلاف الاسود ، أنه يذكرني بجلستنا فى الجمال .. ، هذا العدد من الرسالة يذكرنى بليلة الاوبرا .

هذه البطاقة ، هذا العدد من أخر ساعة « ٢ ديسمبر » الاربعاء ، أى يوم هذا ، أنه يوم كازينو الهرم . أى يوم كان ذلك اليوم فى حياتي ، أي جمال في ذلك الصباح المشرق الرائع ، هذه النظارات الزرقاء ، هذا الضيق الذى

كان باديا على النفس ، ثم أنفرج ، حينما طلعت الشمس من وراء الغيوم .

هذه الاغلفة الزرقاء ، اي قصة وراها ، أراها بين عـديد من الرسائـل فاخطفها خطفا .. أن قلبي يخفق للخطاب الازرق ، وتحنو نفسي له حنوا عجيبا .

... أن الحب ينفجر في صدري مره اخرى ، وعلى صوره قاسية ، أى نعم هو الحب ، الذين يقوم من جانب واحد ، والذي توعدتينه أنت بانة سيموت حتما ، أنه لم يمت ، لم يمت يوما ؛ من أيام هذه العزلة الطويلة ، التى أمتدت شهرين كاملين..

فى الايام الاخيره ، كان طيفك يرف حولي ، رفيفا عجيبا ، . . لقد كدت من فرط الاسى والاشراق الروحي ، أن اجدك بجوارى . لقد أحسست هذا مرات ، كنت أحس أنـك معى وأنا نتحدث برحمـة بنفسى ؛ فانا اليوم قاتلها . ومن يدرى فلعلك لن تجديني حيا يوم موعدنا ، أن كان الله سيكتب لنا لقاء ..

أى لقاء سيكون هذا ؟

من أنت .. حتي يتاح لك أن تمتلكى هذا القلب النافر الجحود ، الباغي الظالم ، الذي طالما قسى وحطم ودمر ..

أى سر وراءك ، أنني لأحاول أن أبحث عنك بعين العقل ، فلا أجـد شيئا ، شيئا يمكن أن يمزق الاعصاب أو يفسد الايام ، أو يذهب الهناء !

ولكن روحك ، فيها ذلك اللهيب المحرق ...

لست أدرى لماذا يربطنا القدر هكذا ، الم تكن هذه الايام الطويلة ، كافية لان تخمد هذه النار وتطفىء هذه الجذوة ! فى نفسى أنا على الاقل .

أي « غد » هذا الذى ينتظرنا ، .....

أنة القدر وحده ، هو الذي يستطيع أن يجيب !

أنها النار التي تحرق ، والتي يعرف كل منا أنها ستلتهمه وقد يصير رماداً ولكنه يصر علي أن يخوضها ، أنه العقل عند مايلغى ويلقى به في الوحل .

..أنني أبحث بين ثنايا نفسى لاعرف لماذا أحبك فلا أجد جوابا مقنعاً

أنت تزهدين في هذه الكلمة « الحب » وأنا أعرف ماذا أريده منها لا الجنس ولا الجسد ولا الغاية القريبه أو الرخيصة ، ولو كنت أريدها ما قصدتها عندك ، وأنت في هذه المرحلة من حياتك ، مرحلة الزهادة والرغبة فى الوحدة ، وفقدن الثقة في المجتمع الذى ضللته الاهواء .

هل سيقدر لنا حقا أن نلتقى ، وأن أمتع بابتسامتك الحلوه .. وأتكلم طويلا طويلا ، وأنت صامته تسمعين ، .. ترى هل سنلتقي ... أنني أصبحت اخاف الدهر واخشاه ، وأرتعد منه ..

أخاف أن يحرمني منك مره اخرى . فما كنت أتوقع أن تطول غيبتنا على هذه الصورة

أنني أخشى أن يفرقنا الزمن الغادر ويدع هذا القلب يحترق

هل حقا عاد الضياء مره أخري الي القلب المحزن ..

هل حقا طلع الفجر مره أخري بعد هذا الليل الطويل .

المرأة الالهية

٢٤ مايو ١٩٥٠

أن الانسان فى الحب يكون فى حاجة الى اله يعبده ، أمرأة فى صورة الالهة تحف بها القداسه والتأجج والوهج .. بحيث يرى نفسة فى حاجة الى أن ينحني لها ...

ولذلك فهو أذا وجد المرأه « العملاق » اسلم نفسه اليها ، ولم ينظر قط الي الوراء ... ولكن هذا الصنف قلما يجده المفكر أو الشاعر الا مملوكا .. لمن لا يقدر ضخامة الكنز ولا روعة الهبة

أن المفكر الشاعر يري نفسه في حاجة الى امرأة قوية الشخصية فاتكه لتهزه هزا عنيفا . أنه فى سمائه وكبريائه وأيمانه بنفسه وثقته بعبقريته .. يحس بالنقص والفراغ .. الذي لا تملأه الا انسانه من طراز خاص .. أنسانه جبارة الشخصية يقف منها موقف التسليم ... أن فى أعماقه هذه الرغبة ، هذا الذي

أخضع كل شيء .. يكون في حاجة الى أن نخضع لامراه .. وليس شرط المرأة المتألهة ، أن تكون اكثر منه علما ، أو أوسع ثقافة ... وأنما شرطها أن تكون غريبة . ، غير عادية ، غير طبيعيه .

« أمرأة غامضه » تحف بها هاله من السحر والسر .. لها ماض طويل يبدو من وراء مظرها المادي ، .. أن يكون وراء هذا البحر الناعم ، نار وثورة ولهيب ... أنها لابد أن يكون امرأة غير طبيعية الجمال والمظهر ، فالمرأة السوية لا تكون عبقرية ، على شرط انصاف الالهة التي نبعد .

أما المرأه التى أشبه بتمثال المرمر ، التي تتلاقى مقاطع جمالها في تناسق عجيب والتى أوفت لها الطبيعة فى كل مظاهر حسنها . ليست هى المرأة الملهمة ، التي ينتظرها الشاعر المفكر ، لان المرأة السوية ، ستكون امرأة متزنه هادئة ، عاقله ... وهذا الصنف عدو الفنان .

أنما يريد الفنان المفكر الشاعر ، أمرأة معقدة ... في اغوارها سر وحيرة وتمرد .. أمرأة فيها جنون يبدو ومن وراء ملامحها ، هذه المرأة تبدو من النظرة الاولى أنها تحمل سراً ... أنها قاست وتألمت ، وأندفعت وحطمت ..

أنها فى مظهرها الاول ، صورة الشيطان . مجسمة وراء الملامح والمظاهر والغضون .. هذه المرأه المحيره الغامضة ، هي التي يريدها المفكر الشاعر لنفس الاسباب التي يحتويها الناس ، ويحتويها أنسانه الرجعى الكامن فى اعماقه

فالناس ينصرفون عن المرأة ذات الماضى ، ولـكن الفنان فى اعماقه كلف بهذا النوع .

*

٢٤ مايو

ماتت المعانى فى نفسى الليله .. وأن ظللت الى الان متماسكا . لا أدري ماذا سيسفر عنه الغد .

لقد تحولت نفسى إلى غضب عنيف . ثم عادت مرة أخري الي حنين عجيب ، وأضطرمت عاطفتى من جديد فأعدنا ما أنفصل بعد القطيعة

استمرت هذة القطيعة شهرين كاملين ، وكان موعد مقابلتنا الليلة..

كنت فرحا ، أكاد أزدهي من الفرح ، ولـكن كان في نفسي شعور غامض . كنت أريد أن أقول لها أشيئا كـثيره . كنت اسأل عن الجديد فى حياتها . كـنت أقول لنفسى . ماذا سيكون هناك من جديد ، أنما هى الحياة الرتيبة القلقة ، المتشابه المملة ، التي طالما شكت لى منها .

وكـنت حريصا على أن أعرف أثر هذه الفترة الماضيه فى حبنا . وتاخرت عن موعدها ثمه . حتى خلت أنها لن تجىء :

وهلت ، وخفق قلبي ، ولـكنها كانت تبدو متغيره ، ليس هذا هو لقاء

لانسان الذي غاب طويلا وجاء لمحت شيئا .. وعرفت كل شيء ، وسقط قلبي الى مواقع اقدامي .. ولـكني تماسكت وأبتسمت !

لقد رأيت فى يدها « دبلة » الخطوبة ، وخواتم أخري تلمع .أي أحساس غأمض ذلك الذى دهم نفسى حين احسست أن ذلك الصراع الذي استمر سبعه شهور قد أنتهى ، قد أسدل عليه الستار .

أحساسان كانا في قلبي فى تلك اللحظة . مختلفان غاية الاختلاف . أما اولاهما فكان ذلك الشعور بالحرمان البالغ . من هذه الفتاة التي الهبت عاطفتى وأنشأت فى كيانى ذلك الحب الرائع العجيب . الذي حاولت الاحداث تحطيمه فلم تستطع .. لقد حاولت أن أنهي هذا الحب أو أحطمه فكان أقوي من كل شيء .

لم تستطيع أمرأة أخري أن تحتل محلها . أو تغفى على مكانها ، .. وكنت حائرا ، كان حبنا معقداً غاية التعقيد ، كانت هناك حواجز عجيبه قائمة فيما بيننا لا سبيل الي أنهائها أو القضاء عليها .. كانت هناك عقد فى نفسينا ، لم يكن من اليسير التغلب عليها .. كان كل منا أن يود ينفصل عن صاحبه فلا يستطيع كأنما هناك قوة أخرى فوق كل قوة تدفعنا لان نظل متصلين

ولم اكن أعرف ماذا يحمل المستقبل . كنت أتهيب هذا المستقبل واخشاه .. ومع ذلك فقد كنت أتمناه وأرجوه .



كنت أحلم بذلك اليوم الذى تجمعنا فيه الايام فلا نفترق ولكن أنسانى الداخلي ، الرجل الوقور المحافظ ، الكامن فى اعماقي كان يبحث عن نهاية لهذا الحب . وجاءت الف مشكلة لتنهيه ولكنها لم تستطع .

وبدأ كان هناك أزمة نفسيه عاصفة ، وشيكة الاصطدام باعصابى المرهقة فكان احساسى بالالم العاصف العنيف حين رأيت أن احلامي قد تبخرت تماما ووضع حد لها . اما شعوري الاخر فكان أشبه بشعور الراحة النفسية العميق حين وجدت النهاية كأنما كان كائني الداخلى يرجو أن تنتهى هذه الحولة ويتوقف هذا الصراع .

لقد طالما دخلت علي هذا الحب عوامل من الغرور والكبرياء وبدأ كأنما هناك ثارا ، وكأنما هناك حقدا ، أو حقا لا بد من الوصول اليه وتحقيقه .

.. والان وقد رايت هذه « الدبله » .. فقد ماتت هذه المعانى جميعا فى نفسى وبطل كل شيء ، وتوقفت المعركة ، وأحسست أننى ازاء زوجه رجل آخر .. وبدأ في نفسى شيء من الحرج البالغ أن اجلس مع « خطيبة » رجل لا اعرفه ؛ واخذت احدثها باسلوب من الاحترام والتقدير للوضع الجديد .

لقد أنتهى كل شيء ، ويجب أن انسى أن هناك « فلانه » ولأدع لها ان تفتتح حياة جديدة مع زوجها ، وأرجو أن يتاح لها فيها شعور عميق بالسعاده والهناء .

واستطعت أن انتزع من نفسى كلمات التهنئه ورجاء المستقبل الهانىء.. وكنت صادقا ، أعبر من مشاعرى الخالصة الحقه .... وسبقت فعرضت عليها أن أعيد لها رسائلها التي بادلتنى أياى طوال فترة حبنا ،

.. وابتسمت ، كأنما كانت تريد أن تطلب منى ذلك .. ولكنها طلبت الى أن تظل محتفظة برسائلى فقبلت .. وامضت وقتا طويلا ، عاتبتني فيه على بعض ما أغضبها خلال فترة القطيعة . وقالت أنها حريصة على أن تتلقى خطاباتى وتجيب عليها .. ولكني كنت قد آمنت « بالزوجة » .

.. وقالت الا نصرف فكررت لها مشاعري ، مشاعر الرجل الذى احبها دون أن يكون طامعا في شيء منها .. الا أن يعيش لها و يوفى .

.. وقمت أتعثر فسقط مني هذا الخطاب القصير الذي كنت قد أعددته ،لاعطيه أياها ، والذي لن يصلها ..

« سترين أن النوال يزيد الحب اشتعالا .. أنني أعيش فيك ، واعيش بك وأعيش لك »

*

وعدت الى البيت ، وأنا منتزع القلب ، انسان فقد قلبه فى الطريق .. واها أنا جالس الى مكتبي ورائحة عطرها تنبعث من هذه الرسائل التي أخذت

في تجميعها ووضعها فى ظرف ، « خاص » ... لاردها لها صباحا !

... هذا العطر الحنون الذي كان يملأ قلبي عاطفه حتي يكاد يعصف بي

ماله الليلة لا يبعث في نفسى أي أثر ، أى جمود هذا ، أي أعصاب من الثلج هذه التي اواجه بها ألموقف الجديد .هل كنت حقا انتظر أن تنتهي المعركة على أي وضع . . ، بشرط الا يكون الوضع الذى اهزم فيه .. ولكن اليست هذه هزيمة !

اليست هى التي رفضت من قبل يدى ، رفضت أن تكون لى زوجه ، . ولكن هل كنت فارغا ، وغير متزوج حتي أغضب عليها .

وأنا هل كنت جاداً حقا ، وهل كنت أقدر تبعة المسئولية الضخمة التى تلقي على عاتقى حين أتزوج من فتاه لها ماض ، ولها حرية تريد أن تحتفظ بها هل كنت فى صميم اعماقي الاذلك الانسان الرجعي المحافظ الذي نشأ فى الريف الغيور الذي يخشى كل حركة وخطوه .

أم أننى كنت أسعي لا نتصر فى معركة ولا أنهزم فيها أم أننى أريد أن امتلك هذه القاسية النافرة المتكبره التى ظلت الى اللحظة الاخيرة تعيش فى سمائها العليا .

رائحة الموت

عبثا حاولت أن اصرف نفسى عن التفكير فيها اليوم. أن فى اعماق روحى رائحة الموت . .

ولاول مره أحسست بالحزن الخالص المجرد من الالم ، الخالص من الصراع ، الذى لا يشركه مطمع أخر ، فانا أقف مبهوتا أمام قداسه الزواج .

كنت افكر فيها اليوم كانها أخت . أفكر فيها كفتاة وحيدة وهى تعد حاجات عرسها ، ثم أحس مرة أخرى كانما هى أخت اطالت مقامها معى ، ثم أخذت تغادر بيتنا فجاه ... ، فى هذة الأيام الروحية ، ايام رمضان . وتذكرت كيف وصلها خطابى الاخير ، وهو مفعم بالحراره والعنف . وصلها وهى فى معمعه هذا التحول من حياة الى حياة ومن وضع الى وضع !

ولفنى حزن عميق ، وأنا أفكر بعيداً فى الحياه الجديدة التى ستحياها ،

وأشفق عليها من طباعها وحراتها وعصبيتها ، وكانما كانت تود أمس أن تتلقى خطاباتى ، أو تعرف موعدى لتحدثني . .. وأنا أحرص ما أكون منذ اللحظة الاولى أن أقطع كل صلة لي بها .... ورددت اليوم نفسى اكثر من مرة ، عن أن اسأل .. من زوجها ، وأين بيتها ، وكم رقم تليفونها . . ولو أردت لاستطعت .

كان فى اعماق نفسى الاخرى أن أعرف ، ولكني أحببت أن يزول هذا الشبح من حياتها ، فلعلها تتأثر به على صورة أشد حماسة فى حياتها المقبله والطبيعة الانسانيه غريبة غاية الغرابه ، ولعل هذه التي كانت تنفر منى نفارها الغريب ، من قبل ، تدنو وتقترب من بعد .

أننى أقدس هذه الحياة الجديدة ، واود أن أكون بعيداً فلا أعرف عنها شىء ، ولا أتصل بها . وأن شاقني أن اطمئن عليها ، ثم ... ، لأعرف كيف ستمضى . .

ولكن مالي أنا بها بعد ، وقد أنقطع ما بيننا ، وتناثر . ولماذا أشغل نفسى بها

—●—

أننى أعيش هذه الايام في غيبوبة عاطفية كلها تهويم واعتزال لا أطيق صورة من جمال الحياة :. ليس فى نفسى مكان لشىء ما ؛ أن سحابه ضخمة سوداء

تغطي نفسي وعاطفتي جميعا !

ولم تجد المحاولات في أن أفتح لروحي أبواب جديده من الهناء والعزاء ، وأمامي وجوه ... تريد أن ترتبط بي ، اكثر من وجه ، ولكني أتوجس خوفا من أن أبدأ محاولة جديدة ، وأحس بالرهبة فقد تحطمت نفسي في هذه التجربه وقاسيت منها أعنف ما قاسيت أنني أحس بانني لم أعرف الحب من قبل . لقد كنت جاداً هذه المره ، كنت أعيش باعصابي ، وكنت أحس أنني ساصل أخيراً . وامتلك هذه الروح . وأمضيت شهوراً طوالا خلال الشتاء والربيع انسج احلامي عن الصيف المقبل والشتاء القادم . ..

ولكني كما يبدو اليوم سادخل فى تجربه جديدة ، هي تجربه في غاية القوة ولكن يبدو أنه لا مفر منها وأنه لا سبيل الى تجنبها ...

أنها هي التي فتحت أمامي بابها .. والقت الاضواء على نفسها ؛ على طريقتها، تقول القليل ، والقليل جداً ، .. وتدعني أفهم الباقى ..

ولكن اليس هذا هدفا قاسيا أن أعيش على هامش .. حياة رجل وزوجتة ، قاسيا على أنا أولا . . فانا مضطر أن اكتم عاطفتى ، وأضمرها في نفسي، .اليس قاسيا على أن أرى رجلا آخر يبادلها عاطفة ، ولو مجاملة. من يدرى لعله كان يحبها مثلى ، أو لعله يحبها بعد الزواج . .

.. أين أتون من النار واللهب ؛ أريد أن أغرق نفسى فية. أنني أبدو هذه

الايام مجهداً ، متهاويا ، الى الدرجه التي لا تمكنني من صرف هذه الفكرة عن نفسي أو تجاهل وجود هذه الانسانة .

وهاهي أيام العيد تقترب فكيف سيمضيها .. ستكون كلها الام .. وشقاء بالنسبة لي وحدى !

أي خاطر ذلك الذي يجرى في أعماق ..

هذا الاحساس الموحش الذى يملاء النفس بالقسوه ، عند ما يجد الانسان نفسه وحيداً ، .. فى دنياه ليس من حوله قلب يعطف ، ولا إنسان يذكر .

أنه ـ الحبيب ـ قد دهب ، ذهب بعيداً ، فقد لقي الرجل الذي كان ينشده ، او الذي خيل اليه أن ينشده وتركني ..

أنه مشغول اليوم بميدانه الجديد ، وسعيد بهذا اللون . لقد خرج من السجن الذى فرض عليه سنوات ، وأتجه الي الهواء . الى الابواب المفتوحة .

ولكن تري هل أنتهت المسألة بالنسبة اليه ؛ أوكما خيل اليه أنها أنتهت .

.. وهل كان ذلك ممكنا بهذه السهولة ..

هذه الروابط العاطفية القويه ، هل يمكن أن تفصم وتذهب هكذا .. أن كان يظن هو ذلك فهو واهم .. أما أنا فما أرانى الا ضعيفا عن أن أنسى ، أو

أقطع علاقتي .. أن قلبي ما زال يخفق ؛ ونفسي ما تزال تحس لهيب الجوى والحرمان . لقد كنت أحبها على أمل أن نلتقي يوما .

وكانت تحبني ولكنها كان تنكر على الصلة ، فهي تراني زوجا ولا تريد أن تضم نفسها الى حياتي المضطربه ، ولا تريد الا أن أخلص لها . ولكنها تشفق على من حياتي .

أما الان فلا أمل : أنني أحب بلا امل .

لم يعد هناك أي بريق من شعاع باننا سنكون لبعض يوما ! .. أحس بالاسف والضيق ، أذ أجدني لازلت مرتبطا بالعاطفة مع أمرأه هي زوجة ، وفي عصمة رجل آخر . أو على الاقل خطيبته:

.. ولكني أحس بالهزيمة أيضا . أحس بقسوة الهزيمة حينما أنظر فاجد أن أملي قد تحطم دفعة واحدة ، وذهب أدراج الرياح .

لقد كنت أخشى يوم أن رددت لها رسائلها . كنت أخشى أن أحس يوما بانها أنتقمت مني ..ولذلك قسوت على نفسي ورددت اليها كل أوراقها ، أنا أقدس جوها الان . أقدس أنها زوجة وأنها لرجل آخر .: لست أريد أن أغمس عليها هذا الجو ، أو أعكر صفوه ولكن هل هي حقا .. لم تعد تحبني .

لا أظن ...

أن كل ما هنا لك أن المصلحة غلبت الهوى فى أختيارها . أنها تعرف أننى لست لها وحدها ، وهى أنها كانت تريدنى لنفسها خالصا لا يشاركها فى أحد

أنها لم تقل ذلك في صراحة : ولكن هكذا كانت ترجو ، فلما أحست بانى أعانى ذلك الصراع العنيف بينها وبين واجباتى الاخرى. صممت على أن تقفل باب الحديث عن الزواج .

وكان هذا منها غاية الوفاء . الوفاء لتلك الاخري التي لا تريد أن تحطم قلبها . .

حقا . .

أنني كنت فى حيره . كنت أحس بانني يجب أن أموت قبل أن تفلت مني هذه الفتاة .. هل كان هذا مجرد رغبة فى امتلاك فتاه لاذلالها والسيطرة عليها .

هذه الفتاة التي أحبتنى في كبرياء . وحرصت على أن لا تعطيني الاالقليل من ذآت نفسها ، وتؤجج فى أعماقى نار لا تزال قوية الاوار ..

هل حبى اليوم يحمل صوره الانتقام أو الرغبة في أن أنتصر على أمرأة كادت أن تستحق عاطفتى ونفسى وحياتى أم أنني أحبها وأنها مازالت حتي الان شيئا لا يتجزا من نفسي وكياني ، مهما بعدت .

ومهما ذهبت الي اقصى الارض ، فان الاثار التي حفرتها في قلبها لا تنسى

ولن يطفي عليها الزمن.

ولعل هذا يزعجها أحيانا ويجعلها تضيق بي .لعل كل ماضيها الطويل لا يساوي شيئا ؛ بجوار هذا الماضى الحي. الماضى القائم . الماضى القريب الذى يحس صاحبه انه قد هزم ، . .

اليست هى التي قالت لى الف مره واكدت الف مره بانها لن تتزوج . وانها قد انصرفت نفسها عن هذه الفكره نهائيا. بل انها لم تلبث ان صارحتنى بانها ستشاورنى لو غيرت رايها واذابي افاجيء بها وقد خطبت ولبسب « الدبلة » ان نفسى تحمل الحب لها ، وتحس بالعاطفة الصادقه ، هذه العاطفه التي تسيطر على كل شيء .. والا فقد كنت اكون اول خصم لها ، حينما احس بانها قد اختارت غيري وانى اصبحت فى نظرها على الاقل لست اهلا لان اكون زوجا

.. ولكني أنا الذي أحبها هي قبل كل شيء ، سعدت لسعادتها . سعدت لانها قد أنهت عزوبتها الطويلة ، .. أيا كان هذا الانهاء، وفرحت .. لانني كنت أحس بقسوة الايام التي تمضيها ، وقد أرتفع بها السن ،.وكادت هي تنقطع عن المجتمع .. ، هذه الوحده المحرقه التي كانت تعيش فيها . تلك الايام المتكرره المضطربه المظلمه التي لا بريق فيها من النور من فرحت ، لانها خرجت من أيام الوحدة الى حياة جديدة مع أي أنسان ..

الايام المجهدة

مررت اليوم، أمام بيتها، فرأيت « الورد الاحمر » على النافذه .. هذا شيء جديد أراه . أنه الدليل الاكيد على أنها تقضى هذه الايام أسعد أوقاتها واحلى أيامها .. ولا شك فى هذا فبعد هذا الليل الطويل من الصراع والوحده والالام النفسية الروحية . بدأت تحس بالحياة الجديدة هذا اللون الجديد من الحياه « الخطوبة » لذلك الانسان الذي اختارته ورضيت به .

. وعلي العكس كنت أنا، فهي فى الوقت الذي تمضى أسعد أيامها ، أمضى أنا اسوأ أيامى وأشدها أزمة وضجرا وسواداً .. أنني لادهش لنفسى . وأعيب عليها هذا الضعف وهذا التهافت . واظل افكر فيها على أجد شيئا فيها خارقا ، مدهشا ، رائعا ... يبعث على هذا الحزن العميق . ولكني أعود فاجد أن طبيعتي الحريصة على أن لاتقتحم واذا اقتحمت هذا المجال ، لم تتخل عن مثاليتها ورو حانيتها ومدى مايلقى هذا اللون من سخرية في محيط كله قائم علي الاختطاف أن صح هذا التعبير :. وعندما اعود الي نفسي أحس بهذه الوحده

القاتلة ، الوحده النفسيه . . هذا الفراغ ، هذا العطش الروحي ، كل هذا هو مصدر ما أجد من احزان

ما اعتقد أن أمرأة .. ، أياما كانت تستطيع أن نغزو هذا القلب !.

أنني التقي فى طريقى يوميا بعشرات ، أية في الجمال والحسن والروعه . ولكنى لا أحس أن أمرأة ماتسلب لبى ، أو تملأ على تفكيري ،.. أو حتي تترك أثراً في .. كانما قد مات شعورى ، ولم تعدهناك أمرأة ، يستطيع أن تدخل هذا النطاق . هذا الحمى المقدس ، الذي احتلته زينب

.. واعجب من نفسى فلم اكن كذلك من قبل أن تضع في يدها « دبلة » الخطوبه أو تنقطع عنى .

كانت كل فتاه فى صورتها تذكرنى بها ،

وكنت أبدو وقد تحولت الى « طبيعة » تابعة ، أو مرتبطة بها .

كانت كذلك منذ اليوم الاول . تبدو « عملاقه » فى نظرى وفي كيانى!

كنت أخشاها واحب أن القاها غاية فى اليقظة وهي وأن لم تكن فى درجتي من

الثقافة ، الا انها ذكيه لماحه ؛ كانت تحس بانني أتحدث في افاق أعلي من تفكيرها احيانا فلم تكن تزور .. ولكنها كانت تحاول أن تبدو ساخره من بعض ماأؤمن به من اراء .

ولم يزهدني فيها أنها أقل مني ثقافة .. ، وكان صمتها في الاغلب حماية لها من اللغو . ولكني عندما كنت أقرأ رسائلها ، كنت أحس أن معاني عميقة فذه . تعيش في اعماقها .. وأن عصارة التجارب والاحاسيس ، والقراءات والافلام ، .. والغريزه ، والذاتية الانانية المنبعثة من الشخصية التي قاست وعانت وعانت ، . . والتي احبت العزلة وشغفت بها . .

هذه العصارة كانت تبدو واضحة في اسلوب كتاباتها ! كنت أجد اكثر من معنى وراء اللفظ الواحد ، وكنت أحس كان نفسا محترقه . تبدو وراء الكلمات ... كانت تسلم نفسها للقلم . .

أنني أحس هذه الايام بالحيره ولا أدري ما هو الطريق ، ولا اين مطلع الضوء . أنها تجري في خاطري طويلا ، . . في كل لحظة ، ولكن على غير الصورة الاولي . . .

*

لماذا أنظر دائما الى الوراء .

لماذا البحث عن الماضى . لماذا لا اعرف وجها جديداً . فاأقسى أن تضيق الحياه بالرجل الطموح ، الـكبير القلب ، الرجل الاديب المثقف فيعيش على الاوهام .

لست أدرى لماذا أعذب نفسى بالاصرار على عاطفة ضائعة . وعلى حب لا أمل فيه ولا رجاء منه . .

لقد كـنت أظن أن هذا الشهر الطويل كاف لان يقتل هذه العاطفة و يذروها أدراج الرياح . ولـكنى أحس بلدغة الثعبان اذا أمر اسم هذه الفتاة على لسان احد ، أو في أذاعة ، أو في مجله . . أنتفض له . كأنما هو شيء مقدس .

.. اسم لا يسأويه اسم ، ولا يرقى اليه !

أحس له غذوبه الموسيقي وجمال الفن وروعة الطبيعة .. ولـكن ما هذه العقدة الجديدة التي بدأت تملاء نفسى . ماذا تريد الايام أن تفعل بى ..

لماذا أرانى قريبا من هذة الفتاة التى تشبهها ، ابنه أختها ، أن الصدف وحدها هي التي جمعت بينى وبينها .. ، والعمل قد حتم على أن أتحدث معها ،

أننى أحتفظ لها في أعماق تاريخا مخيفا . فقد سمعت عنها الـكثير .. أن شفتاها الغليظتان ، ووجهها الاغريقى المسحوب ، وجسمها الطويل النحيل ، يعطى فكرة عن حيو يتها الدافقة ...

ولكني حين جلست معها ، احسست بتفاهتها ، وأنا لا يمتنى فى المرأة الا أن تكون محدثة لبقة ، وافرة المعانى ، فياضة كالبحر . .

لقد كان يقال أن هذه الفتاة هي التي جرت خالتها الي حياه العبث واللهو وأنها هي التي فتحت أمامها باب المتاع . وكنت أدهش حين أرى تلك التي جاءت من الريف قد أقادت لهذه .. ثم ذهبت لتسبقها فى الشوط وتبلغ قبلها النهاية .

هذه ايام تافهه ضحله . . . لا جمال فيها ولا حلاوه . أنى أعيش فى وحدة قاتله . الفراغ النفسى العجيب يحدث عندى فراغا فى كل شيء . . مامن شيء تريد أن يملاء هذه الحياة .

أنني بعيد عن أوراقى هذة الايام . وبعيد عن مشروعاتى شيء . واحد ، ربما هو الذى يستطيع أن يملاء نفسى . . ولكني اهابه واخشاه . وارهبة ، وارجو أن يظل ، بعيداً عني الان . الى وقت طويل

أن هذه الشهور السبعة التى أمضيتها منذ الشتاء الماضى على ما انتهت به قد تركت فى نفسى هوة عميقة ، والما ممضا . . كل شيء يردنى الي الالم ، ويذكرنى بها

أريد أن أظل بعيداً عن الحب لاظل أعيش في عذاب هذا الحب الغارب الذاهب وراء الافق ..

ومن العجيب أن الانسان الذي شاركني ايام الهناء ، لا يشاركني ايام الالم . بل هو اليوم يحتفل بجو أشد هناء وأشد نعومة .

أريد أن أظل بعيداً عن الحب . فانا الذي اصنعه ، أنه هو الصنم الذي أنحته بنفسي ، وأظل أغذي ذهني به ، واودعه الاماني والامال . وامضي أحدث نفسي عنة ، موهما أياها ، حتي يصبح الوهم حقيقة ، ثم أراني بعد ذلك وقد فقدت كل شيء ولم يعد معي شيء .. الا هذه الحسرات والالام . لا أريد أن أصنع الصنم مرة أخري .. هذه المرة فانا لست قادراً على سخريه المرأة لست قادراً على أن أتحمل الهزيمة مرة أخري
ولست قادراً علي الانتقام من امرأة .

لا أريد أن أوهم نفسي بان كل أبتسامه تنم عن حب ولا كل كلمة تدل علي عاطفة ؟

أريد أن يظل الحب بعيدا عني

ولكن لماذا ياتري يدفع القدر هذه الفتاة في طريقي ترى هل نحن ، مسوقان بالقدر . لاشك في ذلك . فما من أمر الا ويد القدر واضحه في أعداده . وتوجيهه

كأننا ليس لنا اراده ما .

أن هذه الفتاة، كلماتها ، أشاراتها ،وملامحها .كل شيء فيها يردني الي الذكرى القديمة . الذكرى التي أود أن أنساها واحب أن تذهب من نفسى الى غير رجعة ..

ذكرى تلك الفتاة ...

أنها أبنة أختها . . ولذلك فما أقرب الشبه . أنها صوره مصغره لها في السن والحجم . ولكنها صورة كاملة فى كل شيء ، حتي ليخيل الى احيانا أنها هي التي تتكلم ،عباراتها . ملامح صوتها . اشارات يدها .

... لماذا هذا !

ما أشد المى . أن هذه قسوة من القدر بالغة ، أن أظل أحس بتلك الصوره التي أود أن انساها متجدده في صوت وكلمات هذه الفتاة ..

لماذا هذا الخيط الرفيع يربطني بهذه الفتاة . أنها تتصل بنا صلة عمل . هذه صلة لا مفر منها ولا سبيل الى اجتنابها ..

ولكن ماذا ورائها

ماذا وراء هذا الارتباط فى العمل . أن الانسان الاخر الكامن في أعماق نفسى يحدثنى أحيانا عن صلة ود وعاطفه . . وقد أذهب معه فى التفكير شيئا

ما ، ولكني أعود ،. أعود وكلي سحر يه من نفسى ، من انسانى الثاني ..

الا ما أبعد الغور .. بين فتاه وفتاه ..

أنها تشبهها حقا ، أنها صوره منها تماما فى الكلمات والعبارات والصورة والصوت.ولكن ما ابعد الفرق. هكذا احس .. احس بان هناك اماده بعيده. أين تلك بخبرتها وتجربتها وفهمها للحياه أين تلك بثقافتها فهما للادب والشعر والجمال

أين تلك نسنها .. كم لهذا السن من أثر .

أين تلك بخبرتها .. زوجة وامرأه ، واتصالاتها بالرجال . أين تلك بمذهبها في الحياة .

تلك أنثي ترى الصله بالرجل هى الصله بالرجل ، أما هذه فعامله الفت الاتصال بالناس .ولا تحس منهم ذلك المعني الروحي الذي تستشعره المرأه أنها صوره قريبة من تلك . ولكن أين بثي ..

أين تلك الذكريات والكلمات . . والاسرار التى أهديناها بعضنا البعض . أين ذلك الحنان العجيب الذى يختفى وراء شخصية صاحبتي.
أنني أقف من هذة الفتاه كما أقف أزاء تمثال من الحجر لا يمنح شيئا . وأن كان يذكرنى بالماضى ويبعث في صورته . أنني أحس أن تلك التى مضت « عملاقا »

ليس مصدر ذلك ثقافه أو جمال . . أو حديث ، وأنما بقوه ذلك

الماضى وسحره ، ذلك السر الكامن فى أعماقها، الذي كان يجعلنى أتهيبها، واحس بانها «شخصية» بالنسبة لى . لن تستطيع هذه أن تصل الى الذروه التى بلغتها «زينب» لن تستطيع أن تبعث فى نفسى ذلك الحنان . أنها مازالت تعيش بين أهلها ، وفى احضان أبيها وأمها . فى هذه الحياه المدللة الرخية . وفى القاهره الحافلة ، تستطيع أن ياخذ منها ما تشاء .

.. أما تلك .

تلك التي تشات يتيمه، وفتحت عينيها على حياة مضطر به فيها حرمان وفيها شقوه . وفيها أحاسيس غريبة غامضة ، ثم مضت فى الحياة وقد زادتها احاسيسها الحادة ، وأفقها الواسع وطموحها ، وأندفاعها ، وحرارة مشاعرها – الى جوار هذا الحرمان – شعوراً بالاضطهاد ،

كانت أمامها ابواب كثيره مغلقه ، وكانت مضطره لان تقتحم هذه الابواب فاذا لم تفتح لها حطمتها .

كل هذا النضال الروحى الذي استمر ، وامتد عشر سنوات أو يزيد ، هو ذلك « الماضي » الذي التقيت به ؛ أشبه بالسر المكتوم ، عندما تعرفت بزينب فاين هذا ! لعله وحده الذي صورها لى بصوره الروعة الآسره ، فاخذت بقلبي .

وأنا رجل مغرم بالغيبيات والاسرار ، وقد اكون شاذاً فى اختيار المرأه التي احبها ، قد اولع بالمرأه المريضة أو المضطهده أو الشاحية أو الماكره أو المتمرده .

.. قد أحب المرأة التى لا تتلقى معي على رأي واحد ، ولا على رغبة واحده قد احب المرأه العنيده ، القاسية المشغوفه بالظلم

وقد كانت زينب من هذا النوع

النوع الذي لم يجد فى حياته رجلا نبيلا . رات الرجل في صورة الذئب فمقد لها الحياه ، وترك فى قلبها كدمات وأرتطامات لا تزال باقية .

فيها هذا الغموض المحوط بالاسرار والالغاز . هذا الباب المؤارب الذي لا يفتح ولا يغلق .

هذه المرأة التي تجاهد عاطفتها فلا تريد أن تعترف بها بينها وبين صاحبها والتى تتجاهل العاطفه الحاده الملتهبه التي يواجهها بها هذ المحب .

كذلك كانت « مى » ولهذا احببتها بعنف ولا زالت تملك على مشاعري إنه ليخيل الى احيانا أنها يوم أن التقت بى ، وفى يدها خاتم الخطو به ، لم تكن ساعية الى لتقطع علاقتنا أو تنهيها ، وأنما كانت تريد ان تؤكدها وتستبقيها كانت كل عباراتها تدل على أن الزواج لن يغير شىء من حنانها أو عاطفتها كنت افهم أنها تريد أن تجعل اكثر من حبل ، متصل بيني وبينها

وتركت معي اكثر من مفتاح لأتصل بها .

لم تكن ليلتها مضطربه أو وجله . فى حين، كنت أنا خائفا متوجسا . كنت فى كل دقيقة أحس بانى أجلس مع زوجة رجل آخر . وفى مكان عام

من يدرى لو ان هذا الرجل جاء الان مصادفة ! .

ولكنها كانت ثابته راسخة ، كانما تريد أن تعتذر عن غيبة طويله أوموعد سابق.

لم تكن تحس بان هذه الدبلة الذهبية التي دخلت يدها ستغير حياتها تغيراً شاملا ، على الاقل بالنسبة لي كانت تتحدث عن زوجها فى استهانة واضحة

كانت تريد أن تدخل فى روعي ان هذا القيد لن يغير شيئا ولن ينقلها الي حياة جديده

.. والحق انني كنت طامعا فى ان إستبقيها لنفسى ، كنت انانيا ، في ان احتفظ بها لعاطفتى خالصه .

وكنت اراقب الاحداث ، وارتب ألامور لأرسم صوره الغد الذي يجمعنا ...

ولكنها كانت اكثر عقلا . كانت الخبرة الماضية وطبيعة المرأة قد حكمت في الامر . فالمرأه لا تحب الحياة المضطربه ، ولا تحب بأن يشاركها فى الرجل

الذى تختاره .. شريك !

.. وهى ، وقد جربت ، وانتظرت طويلا .. تريد الا تحمق هذه المرأة وتحب أن تقيم قواعد بيتها على الاستقرار وعلى النعمة الوافره . والمتاع الكامل

. ولايمنعها هذا من أن تفسح لقبها الحريه في أن تقول شيئا ولكن لا تقول صراحة . كان معنى هذا الشيء أن زوجها سيكون للكون له كل شيء الا قلبها فيظل ملك لى .. ولكن هل يجوز للمرأه مايجوز للرجل ، أن يكون لها زوج وحبيب .

واشفقت منها ، اشفقت من ان نفتح « زوجة » حياتها الزوجيه على هذا الوجه ، متمرده لا ترى ان الزواج سيغير شيئا من حياتها ، وعاشقه تريد ان تستبقي محبتها للرجل الاخر الذى رفضت ان تتزوج !

.. كان المعقول ان نقطع هذه العلاقة وتنساها ؟ .. ورانت انني اريد ان اكون غامضا ، هذه العقد التي فى نفسى تريد ان تتاقلم مع الوضع الجديد

كنت اريد ان اوائم بين الصداقة والحب ، لماذا لا اكون صديقا للاسره الجديده . و بذلك اراها واجلس معها فى اى وقت

. كان هذا مؤلفات . لضميري الذى حاول ان تقطع في الامر ، ولكني كلما نظرت امامي فوجت الهو المظلمة التى بقيت فى اعماقى بعد ان مضت ؛

كنت أتعزى بهذا الشعاع الضئيل من الأمل . وجاء اتصال ابنه أختها فى العمل سببا جديدا لاعرف من أنبائها شيئا بين حين وحين .

... ومرت أيام ... وجاءتنى الفتاة تحمل رسالة من خالتها ... قالت أن زينب سترسل لى قصة كتبتها . وأدهشنى هذا وملأ نفسى غرابة وعجبا

قلت : ألم تقل بالأمس : ما ينبغى لأحد أن يسأل عنى وأنا زوجة وفهمت ما تريد أن تقول زينب . أنها علامة من علامات الالتقاء من جديد . وذهبت أفكر بعيدا ... بعيداً جدا .

كم هى المرأة قديرة على أن تقطع الحبال الموصولة وتحطم القلب المحب وتمزق أوصال العاطفة ...

ثم ما أقدرها أن تصل نفسها بالإنسان التى حطمته ، أى شىء . أى سر . أى عاطفة جديدة وراء هذه العبارة القصيرة .

هل حقيقة ما أحس به فى أعماقى من أننا سنلتقى مرة أخرى . وأننا سنعاود شرب ذلك الكأس . الكأس المسموم . أى عاطفة تمتلج فى نفس هذه الفتاة التى وضعت فى يدها دبلة الخطوبة .

لماذا أخذت تربط نفسها بى مرة أخرى بعد أن كدت انفض يدى منها وأنسى ...

وجاءت « زينب » لترى لوحة ابنة أختها فى المتحف . وكنت هناك بعيدا . وأحسست بدافع يدفعنى . وإذا بى وجهها لوجه أمام زينب . كل

ماحدث فى تلك الليلة كان عجيبا . ولم يكن متوقعا . كان معى عبد العزيز فتركته ... ومضيت . لأول مرة بعد شهرين كاملين آراها من جديد . ذابلة مضطربة . ومضينا نتحدث ونجوس فى الحديقة الواسعة ، حديقة الملاهى . هنا وهناك ... ومعها طفلين هما ابنا شقيقها وتجدد الحديث فى كل شىء ... إلا زواجها .

فقد لمحت أن يدها كانت خالية من « دبلة » الخطوبة . وكنت قد فهمت أن لقاءها لى على صورة المخطوبة كان مؤامرة ضخمة أريد بها دفعى إلى اتخاذ اجراء سريع ...

وتحدثنا عن عاطفتنا ومضينا نحدد لقاءاً قريبا . وذكرت كيف كنا قد اتفقنا على أن نلتقى فى هذه الحديقة فى الشتاء الماضى . ما أقسى الحب فى إقباله وأدباره . وفى منعه وفى عطاءه . أنه أمواج من الصراع النفسى ، والمتاعب التى لا تترك الذهن لحظة واحدة ، فى نوم أو يقظة .

لقد طلبت منى أن أكتب إليها . وبعد كل هذا . وبعد أن تكشف لى هذا الماضى الضخم . وبعد هذه المداورات والمناورات العاصفة لن أكون قاسيا ولا ظالما ...

وهل أنا الذى ينتقم من الناس فى حالة الضعف وفى حالة الهزيمة

لقد رأيتها الليلة كالوردة الذبلة ، كالهيكل المحطم . كانت تحاول أن تتمالك أعصابها . فهل أكون أنا أشد قسوة عليها من القدر نفسه ؟

أن كل شيء كان في نفسي من قبل ، قد عاد مرة أخرى دافقا ... وبدأت المشكلات الأولى تتجسم . هل أتزوج مرة أخرى . هل أنشيء أسرة جديدة . وانفجر الحب في صدري دافقا قويا .

هذه المنطوية التي تعيش على الأحزان . وتقتات منها . كم أحب أن أعيش لها . أن دافعا قويا نفاذا لأحد لحرارته وقوته يحدوني أن أربط نفسي بها وأن أعيش لها . هذه التي لا أحد لها . لا حب لها . لا أب ولا أم . ولا طبيب !

والتقينا ... كنت في طريقي إليها أحس بالحيرة . هاهي ذي تعود مرة أخرى إلى حياتي ولكن على غير الصورة الأولى .

كنت أحاول أن أدير كلاما في نفسي . ولكني كنت أحاول أن أنسى كل شيء حتى لا يتعبني الجري وراء الأفكار .

وأخذت أبثها أشواقي ... أني أذكر بالدقة مجلسنا في « الجمّال » عند نهايته المطلة على الشارع الفرعي . مازلت أذكر كيف ثبتت عيناها في تبتسم نشوى وهي تسمع كلماتي الحنونة . مازلت أذكر أن ذلك كان آخر لقاء بيننا .

وتعاهدنا على ألاّ ينسى أحد منا الآخر في زحمة الطريق ...

ولم تلبث أن كتبت إلى ...

« أى صديقى ... أما الرسالة المطولة التى وعدت بارسالها فما قد فرغت لها . إلا أننى أرى أمامى هذه المقطوعة خير معبر عن ذات نفسى :

« إلى السوق مرة أخرى » ،

يوم أنشأت اذهب إلى الأسواق . أوائل عهدى بالأسواق كانت الدراهم فى الكيس جد قليل . وكم طال بى النظر وكم طال بى الوقوف . على أشياء فى السوق لا تنال . تغير الزمن اليوم . فلو أردت الشراء لأشتريت . هنا الدراهم فى الكيس . هناك أشياء الأمس فى السوق . ولكن ياترى أين الفتى المحروم .

طالما شكا قلبى الانسان . لأن اثنين واثنين أربعة . لاهى ثلاثة كما نودها حينا ولا هى خمسة كما نودها بعد حين وأحسبه سيشكو إلى آخر الزمان ... « هوسمان » .

أتدرى يا صاحبى أنى فى هذه اللحظة التى أكتب إليك فيها قد وقعت على الكتب المصفوفة أمام مخدعى . وبلمسة شعورية امتدت يدى إليها فشعرت بقشعريرة خفيفة تسرى فى بدنى . وكانت هناك ذكرى سحيقة قد انبعثت من حفرتها تتحدى الهجر والنسيان يشبحها الواهى الضعيف . منذ بدأت ارنو إلى الكتب .

وكأنما بيني وبينها مارد يترصد كلانا يرى الآخر رؤيا العين ويحسب أن

القيامة قد قامت دونه فلا أنا أقربها ولا هى تدعونى ...

آه . ها انا استرسل سخافاتى ، وأنسي دعوه اللقاء .. أذن ساكون في موعدنا فى الساعة الخامسة والنصف مساء الخميس

هل هذا نقص فى طبيعتى ؛ أنني أفقد عاطفتي عندما التقي بالانسان الذى احبه ، وأبدأ فانظر اليه - وهو امامي - بعين النقص ، واحيانا لا أجد فيه شيئا يلهب العاطفه ، فاذا مضى وغاب . توقدقلبى وأحسست بالنار تأكلني . . . هل هي عزيزة الامتلاك وحدها التي تسيطر على نفسى فعند ما اراه معى لا احس بتلك العاطفه ، . . أم أن عاطفة مشقه من عاطفه هى التي تسيطر على عندما يغيب

أنه ليحضرني عندما أراه في الطريق ، أو في أي مكان . أن أنظر اليه ناقدا . . . أن أنساتى الداخلى يعنف احيانا ، ويقارن بينه وبين غيره ، فلا يراه الا مخلوقا عاديا ، لاشيء فيه يثير الانسان الفنان ولا يأخذ بلبه ، ليس هو رائع الجمال ولا هو سامق البنيان . . . ولا فيه من عبقرية المرأة شيئا . . ولكن متي كان شيئا من ذلك هو الذى عقد بينى وبينه

ولما مضى ، وخلفته ، بدات أحس بانني في حاجه اليه حقا ، وأنه شيء ماثل في أعماق نفسي ..

أنه ليخيل الى أن في نفسى منطقة من الفراغ ، منطقة يبعثها النقص الذي اجده في البيت ؛ و يبعثها الضيق الذي يصادفني في بعض صروف الحياة أو تعقيدات العمل أو توقف الامال والمطامع .

عند ذلك تبدو لي هي ، كانها « مخدر » كانها فرحة عميقة تملأ النفس فتكشف عنها الامها ، أو أغروده تذهب الحزن وتبعث الهناء ، أنني أحس حين أذكرها وأنا في بعض حالات الضيق ، انها روح جديده من الحنان أو الهناء أو الجمال ، تعطى نفسى حاجتها من الرضي ، وتخفف متاعبى ..

صديقي.

جميل كبير أن يجد المرء أنسانا يقف بجانب أحساسه أوقات الشدائد . والحق أننا نبذل مشاعونا الي اناس . وأن كانوا اهلا الا انهم .. وأنه من الخير أن يمسك كل منا احساسه لنفسه فحسب .

لست أفرط في الجحود ، لانني أنا الاخري ضيعت على نفسى موعدا كنت قد أعددت نفسى فيه للقاء أو في الاصدقاء ... ؟

ساصارحك بحقيقة شعوري فى هده اللحظات التي يصلني فيه خطابك هذا القصيرة الحلو ؛ ألذي تبدو فيه نفسك للمرة الاولي - شفافة حلوه ، كانما قد نسيت كل متاعبها والامها .. آنني أحس بانني متبلد الاحساس ، راكد العاطفة ، كانما هنك سلاسل تجرني الي الارض فلا استطيع التحليق ، كان ريشي الذي كان ينشرني فى الجو ، قد قص ..

وأن عوامل الهبوط كلها قد تجمعت لتحاول منعي من التصعيد فى الجو

وأنا اريد أن اجد العوامل التي تدفعني في حماسة وقوة الي أن أقفز ..

أنني أحس فعلا أن شيئا ينقصني ، شيئا كان قويا دافئا فى أعماقى قد خفت وضعف .

ليس هو الحب قطعا ، فانى مازلت أحس لك فى أعماقي حنينا وشوقا ولكنه ليس على تلك الصوره المجنونة القاسية .. الاولى ، ولعل ذلك من فضل الله ، والا فكيف كنت أستطيع أن أعيش هذه الايام الثلاثين التى فصلتني عنك . . . .

حقا ، لو كنت الان كما كنت من قبل ، لكان معني هذا ان انحطم

أو أتمزق ..

رايتهما معا . . لماذا رضيت ان تسير معها فى الطريق أن الفتـاه الفارعة . . الصغيره تكـشف خالتها ، وتجعلها تبدو أقل جمالا . .

هذه الصدفة العجيبة التي جعلتني التقي بهما معا في الطريق .

كلـما حاولت أن أذهب ، جاء جـديد من الامر لـيردنى اليها هـذا صاحبي يحدثني عن اهلها . . وعن جوها وعن موقفهم منها .

هذا كله أعاد الى نفسى عاطفة الحنان .

هـذه الشقية المسكـينة الـتي ليس لهـا أحـد

هذا أخوها ، بقلبه القاسى ، وعاطفته الضخلة ، وجشمه يقف منها موقف الجمود .

سا كون لها . . سا كون أنا لها ، وحدى .

ساقف حياتى عليها . واعمل على اسعادها .

لست أدرى لماذا كنت مضطربا طوال اليوم ، كلما حاولت أن أوجه

ذهني وجها أحس ان هناك عاطفة غامصة تكمن تحت الرماد ولكني حينما عدت الليلة ، وجلست الى مكتبي اخلو لنفسي ولاوراقي : . عرفت سر العقده ، كان سرها ما عرفت فى الصباح ، أنك « ممعوده »

كل ما على مكتبى هنا يذكرنى بك . . انني ا كتب كل هذه البحوث والرسائل والكتب ليقرأها انسان واحد ، هو انت بيعده كنت أم قريبة ، لي أو ولغيري ، راضيه أو غاضبه . . أن كل ورقة هنا ، تذكرني بك ، لست أدري لم ؟

هذا الكتاب الجديد الذى اعده عن المرأة والحب . . الست أنت مصدره ، الست ادرس صورا تذكرني بك

انني احس بالالم حين اراني الانسان الوحيد الذي لا يستطيع ان يسال عنك أو يراك وأنت منهكة فى سريرك ، فى حجرتك فى وحدتك

كم أنا مشفق عليك من الآم المرض . وحزين من اجل الخطا الوحيد الذى ارتكبته حين لم أدرس الطب .:

أنا أعلم ما وراء هذا المرض ، وهذه الامعاء .

أنها ليست وحدها كل شيء ، أنا أحس أن وراءها الالم من النفس ، هي السر في متاعب الجسم

لماذا تخفين عني كل شيء ! الست أنا الوفى الذي وهبك حياته ، لماذا لاتقولين لى بعض ما يخفف عنك متاعبك ويريحنى أنا . .

كم أود ان اكون ذلك الذي تصطفيه بسرك !

ليس عليك باس من أن تفضى الي بين ان وآن بمتاعبك فانا منك والله بالروح ، هى رابطة أقوي من رابطة الدم ! أنا الرابطه الخالصه التي لم تات محمن الصدفة ، ولم تهدف الي الغرض .

ولولا مرضلا لقلب لك أن خطابك الاخير كان قاسيا على نفسي ولم اكن أنتظره ..

كنت أريد أن أقرأ لك شيئا يريح نفسى ، ويفتح أمامي أبواب الحنان . حنانك الذي تجعلينه وقفا على نفسك وحدك

وددت لو ان اراك ، وأمسح بيدى على ذلك الجبين الحر الكريم ، داعيا الله له . .

ايها الحبيب . ساعيش لك . ها هي أنفاسى قريبه منك ، ها هى روحى تحوم حولك فى كل لحظة : أنها . هذه الروح ـ تنصهر الان فى بوتقة الحرمان من اجلك !

« الحلمية الجديده ٣٠ أغسطس ١٩٥٣ »

أنني في غاية الالم والحزن والضيق

كل لحظات ايامي مغشاها الاسى والالتياع · لماذا هذا الصمت ، ماذا استنتج من أنتظارك هذا دون أن تكتبي لى ، منذ أن لقيتك المره الاخيره

ترى هل هناك ما يزعجك : ليس شعرى أي شيء هو أن قلبي لا يحتمل . كم أود أن أعرف ، لاشارك من بعيد في امر . هكذا وضعني القدر فى طريق الشوك دون أن استطيع أن ان أفعل شيئا ان شيئا واحدا يمكن أن يريح نفسى ، ويطمئنها ، ليس موجودا . ألان اصبح مجنونا يذهب منى هذا العقل الحائر ، وينطفىء هذا اللهيب العاصف .·· الذى مايفارقنى لحظة! والذى ما من شيء في طريقى الا و يزيده اتقادا واشتعالا

لست أدرى كيف استطيع ان اقضي ايام وحياتي الباقية ان كان لى فى هذه الحياه ايام . هل ستكون هكذا ايام سوداء قلقه حائرة مضطربه وأنت .. ، الا ترين أن من حق الحب ان تجعليني أحس بانك بخير

لقد نسيتني كل ايامي واحداث حياتى حتى لكانى لم الق من قبلك ولا بعدك أننى احس كاننى ذلك الرجل الذى ا كتهل قبل الاوان . ولم يعد له في

الحياه مارب . أوكان احدا لن يلتقي بى من بعد . وهل استطيع ان اعيش يوما واحدا دون ان احب . دون ان أحس بان لي قلبا يخفق بك . وان هناك قلب مرتبط بى مهما كان موقف صاحب هذا القلب . ومهما كان وضعه نعله كلما كان غريبا كلما كان ذلك اشد قسوة في نفسى وأبعد اثر .

أنه ليكفي ان يجد الرجل فى حياته كلها أمرأه واحدة . . أمراة تفهمة ، ايا كانت هذه المرأه زوجة او أم أو اخت أو صديقه . . ليعيش عمره كله . يعيش مرتبطا بها ، وكانما هى جزء منه لا ينفصل .

لماذا أذن تريد بيتي على الالم وتكتبيه لي بيدك

ان قصاصه صغيرة قد تكون كفيلة بان تزيح عن صدري هذا العذاب كله . وهذا الالم كله

أأقول أنك بخيل شحيح ، ظالم . ولكن مالي القي التهم جزافا وأنا لا أعرف ما هنالك .

« خير لنا أن نتراسل دون أن نلتقي . هذه الفترة على الاقل »

حريق من الحب

لست أدرى لماذا هذا الصمت والاتجاه نحو الوحده . هل هو نوع من العتاب ياخذ هذه الصوره الغاضبة . أم أنه أنكار للماضى والاشاحة عنه . أما أنا فلا أستطيع ، أنني مازلت أعيش معك وما بيننا كان وما يزال حاراً قويا فى صدري وفى قلبي .

لازلت أذكرك في قوه وعنف . يوم واحد لا يمكن أن يكون قد مر على قلبي من غير أن يلامس طيفك .

نتراسل دون أن نلتقي . لماذا والى متي !

أنني ساعيش وفيا لحبنا ، أمينا على ذكرياتك مهما فعلت أنت . أن الوفاء دين من ديني . وجزء من يقيني .. لقد احببتك حبا أمينا صادقا ، لم تتطرق اليه شبهة ، . . أي شبهة ، لحظة ، فعاش حبا حزينا محروما .

لماذا تشيحين بوجهك بعيدا . لماذا لا نلتقي ليشكو كل منا الى الاخر

الامة ، واحزانه وهمومه . أنني أحس أن فى صدرك ذلك الحنين الى لقائى ، ولكنك تردين نفسك عنه .

أنا أعرف أن أنسانا اخر ، يريد أن يقف بيننا حاول هذا أن يقتل حبنا الف مره . لقد أمنت بان كل وقفاتك وغيباتك . وترددك وأنطوأنك كان له سبب ، وكان من ورائه مشير ، مشير كان لا يحب لنا أن نلتقى ، كان يريد أن يستاثر باحدنا فيحرمه من صاحبه : ولكنه من ناحيتي ليس له مكان .

لقد كانت الدنيا ـ ولا تزال ـ تريد أن يفتح لنا بابا من ابواب الخلود ماقيمة هذه الحياة التافهه الكالحة المريوة ، المتكرره المتشابهة المملة أنت تعرفين قيودي منذ أول يوم ، ولكنى على استعداد لان احطمها أو أتجاهلها في نفس اللحظة التي تؤمن بها

أننى مازلت أعيش فى نفسى الامانى التي وضعت يدى فى يدك فى سبيل تحقيقها .

لقد عشنا معا لحظات نقيه لا تستطيعي أنت ولا انا أن ننساها أنها صفوة العمر في حياة كل منا . لقد كنا وفاء لوفاء

. . لقد كان حريقا من الحب تضرم في قلبينا . أما أنت فانطويت وأشار

عليك الظالمون بقطع الاواصر فمضيت تقتربين . ثم تبتعدين . أما أنا فلم أتزلزل عشت لحبك وأحتملت رضاك وسخطك . هجرك وقربك كنت أعرف يوم تكتبين لى أنك مريضة ، أنه لا مرض هناك ، ولكنه كان عذرا من اعذار النفس الراغبة الى الانطواء ومع ذلك فقد ظل حبي قويا صمدت مخلصا ، فقد كنت اراك في عيني كل شيء في الوجود. وكلماتك القليلة ونظراتك البراقة .واحساسى بهذه النفس المعذبة ، كان يجعلني أزداد ودا وصدقا ووفاء .

بنفسى الفداء لهذا النفس التي عذبتها هموم الحياه وتصاريف الدنيا فلما جاءت تأنس الى انسان وفى .. جاءها من يردها وتداورها أننا قد التقينامنذ عام في نوفمبر، فى قلب الشتاء السابق .ولكن هل حقا عشنا معا هذهالايام كلها . .

لم يكن يبدا هذا الحب حتي فاجئتنى بالاعتكاف فجاءت سحابة صيف فوقفت بيننا ، ثم عدنا الي الحب ، ولكن على غير الصوره الاولى ، كانت خطاباتك ملتهبة من النار والنور . . ثم عادت فاصبحت مجرد كلمات . . فهمت هذا أنا على أنه طور من أطوار الحب ، أنه نوع من احساس المرأه بالحب وحيطتها للمستقبل الغامض

وأنقطعنا ثمة ، جاء حادث كادان يختطف قلبانا . . ثم عدنا فى هذه

الليله الحلوه الناعمة ! ليلة المتحف !

هذه الساعات الهنيئة التي قضيناها في مدينه الملاهي !

ترى هل هناك ما يشغل قلبك . أهى عاطفة جديدة تملاء عليك نفسك وتردك عنى . تردك عن الرجل الذي سيحفظ الود ما عاش . .

آه لو تعلمين كم أفكر فيك والى أي مدي .

أن نفسي أشبه بالخرائب الخاوية تكاد تصفر فيها رياح الشتاء وتوشك ان تطبق عليها غيوم السماء فلا فكرة تشغلني ، ولا ذكرى تستهوينى ، ولا أمل حتي تعلق به . وخزائن الذكريات مغلقة .

من أجل ذلك لاأجد شيئا أقوله .

لاجديد عندي ، لا مرض ولا علة . . ولا شيء الا الطريق الطويل

*

لعل مما يحز فى النفس ، أن اسمع منك هذه العبارات وانت بعيده ، على شبه قطيعة معي ، مع الرجل الذى أحبك فى غنف ، وأمن بك فى قوه ، ووراك منارا قويا حيا ، يهتدي به فى ظلمات الحياه وليست هذة هي المره الاولي التى

أقرأ لك فيها هذه العبارات ، وأنت تعلمين كم هي تقطع نياط قلبي ،وتفسد على أيامي وتملاء لحظاتي بالالم العميق المحض الذي لا سبيل الى الخلاص منه .

أنت تعلمين قلبي ، هذا الخفاق الذي يتطوي على الامـل والالم معا ، هذا الذي يملاءه حبك قويا دافقا ، تستطيع الايام أن تؤثر فيه أو تخفف من حدته ، وبالرغم من مواقفك الصارمة العنيفه ، معي ، فانى لازلت أرجو في الايام وأنظر الى الغد . وأنا أعرف أيضا أنك تبادلني نفس العاطفة ، وأن قلبك يحمل لى صادقا حبا اكيدا . ولـكن لماذا نظل هكذا على البعد ، لماذا هذه السدود والقيود التي وضعناها : لماذا لا نتقارب ، مواعيدك كلها عرقوب ، أنت تحرصين على عدم الوفاء بها . مامن مره أتفقنا الا وكنت الخالفه . لماذا تأدبن » جنينا » حلوا جميلا ، أن الايام مازالت تزيدنى قربا منك ، ورغبة لمعرفة اخبارك :

لشدما أنا حزين على هذا الصمت ، وهذا الالم ؟ وعلى هذا الطريق الطويل الذى مازال يبدو كانه لا آخر له . أنه طريقا معا . أنه بالرغم من المسافات القريبة بيننا . فانك تصرين على هذا العروف الغريب والانصراف الغريب .

أنى لارجو ان اراك قريبا ، فلا تدعينى أنتظر كثيرا

*

هل هذا الذي يعيش في نفسى هو « الحب » ، ام انة شعور أخر شعور الرغبة فى الاستيلاء على هذا القلب ، شعور الانتقام من هذه النفس التي تالهت وتظاهرت بالـكبرياء .

أن فى أعماق نفسى رغبة الانتصار والاستيلاء على هذاالقلب، هذا القلب الذي زهد في الناس واصبح يشك فيهم . والذي كان يعيش بلا أمل .

لقد راتنى أهد هد أحلامها . وأبعث فى نفسها مظاهر الغرور بالحديث عن الجمال كانت تحس أن هناك من يرمقها ويحبها . فلم يكن هناك ما يمنع من أن تلقاه تلقاه بين حين وحين ولـكن هذا الازورار وشعور الـكبرياء . كان يوقظ فى نفسى الرغبة في أن اصل الى هذه النفس . وكان هناك شعور أخر هو اشفاقى عليها ، على وحدتها وليلها الطويل ، ولـكن لمي يريد أن يخاص من أغلاله ويجد روحا حلوه تعطى وتمنح .

عزاء عن الالم

١ اكتوبر

وفجاة ، وعلى غير ميعاد .

التقيت بها ، كيف ، أين ، لماذا ، ما الذي جمعني بها فجاه . وعلى غير ميعاد ،

وجدتنى فى مكان اخر ، فى اتجاه اخر ، وقد الغيت كل المواعيد الاعمال وتوقفت .

الم تكن هذه الاشياء كلها علالات نتعلل بها ، لنملىء ذلك الفراغ ولتخفي نفوسنا المتعبه ، المرهقة ، التى كانت قد وصلت فى الايام الاخيره الى حالة من اليأس ، كانت سماء نفسى ملبدة بالضباب الكثيف وكنت في حاجة الى ضياء جديد ، الى بصيص من امل

كنت أعيش وراء الضجيج لعلى أنسى ذلك الصوت البعيد الذي يناديني في الاعماق .

الا فلتمض الحياة كيفما تشاء ، مادمنا قد وجدنا القلب الجديد . فلنعش هذه اللحظات ولنقطعها من العمر ؛ فانها هي ازهي لحظات العمر

أننا نريد السلام ، ولكن كيف السبيل الية ولا يزال فى القلب ذلك الاتون المتقد الذي يدعو الي الحرب . حرب العيون والقلوب

هل يحس الانسان منا بالمرض قبل ان تبدا بوادره أنا أزعم أن الحب كالموض ، كنت طوال اليوم احس بشيء يعتلج فى نفسى. كانت مرارة المتاعب الطويله التى قاسيتها خلال الشهرين الاخيرين قد وصلت الى أبعد حدودها

متاعب العمل ، ومتاعب النفس والمتاعب المتصله بالناس ، كنت أريد أن أنساها وان أحقق الراحة النفسية المنشوده .

ولكن كان كل يوم يمر ؛ يجعلنى أحس باننى أبتعد عن النهايه لا أقترب منها .

كنت أحس باننى أحمل فوق كاهل عبءضخم ، لماذا انا مغرم بالمتاعب ابحث عنها وأجمعها . وأحس بالفراغ حين افتقدها . احس بالوحشه والحزن حس بانني فى حاجة الى اي شيء املاء به ايامى .

كان حبي الاخير قاتما فى كل مراحله ليست فيه لحظة سعيده وكان عملى قد بلغ فى العام الاخير اسوا اطواره حتى كنت أضيق صدرا بهولاء الناس الذين تربطهم بى علاقة العمل

كنت أريد أن أفرغ عاطفتى الضخمة فى شيء من هذا الشعور الوفير الغنى كان فى حاجه الى أن يواجه . نفسا طموحة تريد الحب ، وتريد المجد وتريد الحياة ، وتكره الركود والسكون .

ولكن الايام اصارتها أشبه بالبحيره الاسنة الراكده فقد كان من الضرورى ان يدور الانسان فى الحلقة وأن يعاود . البحث عن شيء ليجدده . ولكن الماضى الذى رث لم يكن من اليسير أن يتجدد ، كان كل مره يبدو قويا متوهجا ولكن لساعات متعددة ، ثم يعود الى الخمود .

وجاء يوم ، احسست فيه أننى لابد أن أخلع ثوبى كله ، وأتشح بثوب جديد

لابد أن أغير العمل والزملاء وأسلوب الحياه ومكان السكن وأن أعد قلبى فافتحه لطارق جديد .

وبدات أدخل فى غمار هذه المرحلة الجديده من حياتى ، كان على أن أنسى الماضى كله ، ولكنى كنت لاالبث أن اعود فاحن اليه . أننى فى حاجة الى شيء ما افرغ فيه عاطفتى القوية المتدفقة . أننى ظامىء الى لون جديد من الحنان من العاطفة . لقد جربت هذا اللون المنطوى الانانى الخافت الصامت . ويبقى أن اعيش مع لون اخر ، مع انسان اخر اشد بهاء ولشراقا وحياه

أريد ذلك الوجه الضاحك ، هذه النفس المشرقة ، هذه العاطفه الحيه الخفية . هذه النفس المرحة التى تستقبل الحياة فى بهجة واشراق

أريد هذا النوع الذى يمدنى ويعطينى ويمنحنى

أننى لا أحب الجمال الهادىء ، أنه ساكن صامت كالقبور ، راكد كالصحراء وفى أعماقى رغبة الى الثورة والى الحرارة والى العواصف

. . أنها من هذا النوع الثائر

هذا الجمال الذى احبه ، لقد رأيت اليوم الجمال الهادىء ولكنى أغضيت عنه حقا انه رمز السكون والسلام ، . ولكنى لا اجد فى نفسى - على الاقل الان حب الدمى الصامته ولا تماثيل الرخام

اذكر اننا تقابلنا قبل الان فاين كان ذلك

هذه هى الكلمات التى القيتها على هذه الفتاة ، وانا اتطلع اليها فأجدها تتطلع فى ابتسام ، وتركز نظرها الى بقوة

وقالت انها لا تذكر أين .

ومضينا نتحدث ، كانت فى طريقها الى زيارة بعض اصدقائها وتواعدنا فى سرعة على ان نلتقى فى المساء .

حقا . كانت مفاجئة غير متوقعة ، هذا حظ قلبى دائما كانت تقف فى باب عربة الترام عندما لم تجد مكانا ، واقتحمت العربة وجاء وجهى فى مقابلتها كثيرات نلتقى بهن فى الصباح والمساء فى الترام والاتوبيس والقطار ولكن هذه

هذا الشعر الذهبى اللامع هاتان العينان العميقتان ولفت نظرها إلى هذه

الوراقات التى اخرجتها من جيبى لاقدمها للمفتش

نظرت فى دهشة ، ثم رفعت نظرها الى وفى عينيها ابتسامة ، لم تتجاوز اطراف الفم وظللنا انا وهى نتبادل نظرات مختلفة ، ارفع بصرى فاجدها قد ثبتت عيناها فى ، او انتهز فرصه تلفتها الى الناحية الاخرى فاتفرس فيها

ليس فيها شىء يلفت النظر ، شىء غريب ليست وسيمة الى الحد الذى يزعج النفس او يزلزل القلب ، ليست فارعة الطول او رائعة المظهر وأنما تبدو قوية الشخصية واثقة بنفسها وبدت لى كانها تجاوزت الثلاثين

والتقينا على محطة المترو ، وجاءت فى موعدها وركبنا فى اخر العربه ودار حديث فى الادب والصحافة والقصة والكتاب والصحراء ولمحت فى حديثها لباقة ، وفى فهمها ذكاء .

ووصلنا الى مدينة احلامى مصر الجديدة .

وتركتنى بضع دقائق عادت الى منزلها ، وجددت زينتها ، ثم مضينا نمشى تحت البواكى حتى وصلنا الى قهوة بعيدة لم نجد فيهاغير النادل .

وكان البرد يلفعنا خلال الطريق ، ولكن هكذا رزق قلبى فى الشتاء الذى لم يكن قاسيا مزعجا ، كان هناك دفء فى القلوبوحرارة تشع من هذا الحب الوليد .

وبدانا نتحدث

وطال الحديث وتفرع وتنوع

قلت ما اسمك

قالت اى اسم هل يهمك ان تعرفه

قلت جدا . انه مفتاح الشخصيه .

قالت ما تظن أن يكون قلت لابد ان يكون موسيقيا

قلت فى عينا كى سر

قالت اى سر

قلت سر بعيد كانما هناك اشياء كثيرة

قالت اظن اننى ساخذ من وقتك كثيرا . وانا اعرف وقت الادباء قلت لا تجزعى ان وقتى ملكى ، وانا معك الى الصباح ان اردت

فجفلت . وردت يدها الى صدرها

وقالت وتلك التى تنتظرك

قلت ليس هناك . . وانت

— لماذا تسال .

ان شعرك جميل ورائع ، . هذه الايدى الحلوة الصغيرة وهذا السحر الذى يبدو وراء فمك .

قالت ان عباراتك هذه تزعجنى .

لماذا

قالت انها عبارات مكرورة . . انت محترف . انها تدل على انك عرفت الكثيرات

قلت هذا الصوت الحنون . يطلق هذه القذائف وفى الدقائق الاولى للقاء قالت حدثنى من نفسك عن ماضيك

قلت اى ماض

قالت حدثنى عن عاطفتك ، عمن عرفت من النساء

قلت كأى شاب

قالت ان الـكتاب يعرفون الـكثيرات ، ليكتبن عنهن قصصا ، أو ءأن هذا لمزعج ، أن اكون يوما احدى هولآء

قلت لها . . لا تنزعجى ،

ومضى الحديث هكذا ملىء بالمطبات . .

ودخلنا الى الدين . وتوجست أن اكون من غير دينها ، مظهرها الاجنبى . وتولد فى النفس الشك بالنسبة الى . حاولت ان تداور وطال الحوار ، وتولد فى نفسيتنا شك وبدا اننا سنقطع المباحثات . . ورددت الى نظرات قاسية ساخطة ، . ثم صارحتنى بانها مسلمةوكانت اجابتى ن أخرجت من جيبى مصحفا صغيرا .

وهنا ترنحت ، لولا أن أسندت ذراعها ، كادت أن تهوى الى الأرض ومضت تعتذر لى وأنا أرد أعذارها بان أثر أى شى ما لايلبث أن يختفى من نفسى فى اللحظة التى ينتهى فيها . أنه سرعان ما يتبخر ، أن نفسى صافية لا تكاد تحمل أى شىء

ياهدى اننى حبيب ، هده اللحظات القليلة ، أقنعتنى باننى أزاء انسانة ممتازه ، لم التق بمثلها من قبل .

قالت دع هذا ، أننى قد صدمت صدمة عاطفية قبل ذلك ، ولم ينقذنى منها الا .

قلت الا اماذ

قالت عــلم النــفس

قلت وأنا أحب علم النفس . لقد التقينا على شيء نحبه . معاً .

أنت رائعة ياهدى ، لست أدرى كيف لم نلتق قبل الان

قالت لك انك محترف

هذا شعورى

قالت أننى أخشى هذا اللقاء ، أننى فى الطريق الى صدمة جديدة ولم أدر أننا درنا ثلاثه ساعات فى شوارع مصر الجديدة ، فى هذا الجو البادر ، دون ان يحس . أى منا بالتعب ولم ينته الحديث

وركبت المترو الى القاهرة .. وفى نفسى شيء واحد ..

شيء مؤلم قاس ؛ ندمت كثيرا على اننى جعلته يمر ؛ هو اننى لم أصارحها بحقيقة أخفيتها ..

*

والتقينا ..

أردت أن أزود عن « هدى » هذا الذى تخشاه ، هذه الصدمة ! فهل وفقت ... يبدو أننى لم أنجح !

مضيت أتحدث معها عن نفسى هذه المره .. واردت أن القى الى نفسها معانى غريبة ، عن الاديب الفنان صاحب الطبيعه المتقلبه المترددة ، التى لا

تستقر على وضع ، والتى لا نرضى بشىء ، الطبيعة القلقة التى لا ترتوى
وهل يستطيع مثل هذا الاديب أن يسعد المراة .

لقد ورث هذا الاديب مخلفات متعدده ، وعقد مختلفة ، وهو يحب الحرية الى ابعد حدود الحب ويكره القيود

. كل هذه العوامل تجعلنى أحس بانى أدفعك الى مغامرة ، تملأ نفسك بالالم وقد تجدد معك تجربة أخرى ، لست فى حاجة اليها .

. لقد لقيت فيك « أنثى » ولكنى لم أجد فيك « مفكره » أو فنانة أنت تدورين حول ذلك الهدف الذى هو مصير كل رابطه بين رجل وأمراه

.. بعد أن غادرتك . وركبت المترو عائدا الى القاهرة ، كانت نفسى معمورة باشياء كثيرة ، من ابرزها هذا الاحساس العجيب الذى قد يدهشك أن يمر بذهنى أنا المحترف ، كما تقولين أحس بانى أجرك الى مغامرة ، والى تجربة عاطفية ، اظن أنك لست فى حاجة الى متاعبها والامها .

أخشى أن تشقى بى ، وأنت لست اهلا للشقاء . ، أنك تطعمين فى أنسان ليسعدك ويملاء حياتك . فهل استطيع أن اكون ذلك الانسان .

وأنت هل تستطيعين أسعادى ، هل فى أمكانك أن تاخذى بزمامى ، ما ما أحوجنى الى هذه التى تستطيع أن تملاء فراغ نفسى ، وتقضى على سأمى وأن تذهب هذه الوحشة الجارفة الجبارة التى تلقانى فى كل وجه ، وفى كل سبيل وأجدنى معها عاطشا لا ارتوى ، وواغبا لا أرتد ، ومهما وصلت مصعدا فى طريق المجد أو الحب أو المال أو المتاع . أحس بالحرمان ، وأنسى الماضى وأنظر الى المستقبل بنفس طموحة راغبة الى المزيد .

وحزنت « هدى » وتأثرت ، ومضت تتهمني بأنني أخفي وراء هذا الكلام كله .. شيء اخر ، لم اكن أنا في الواقع أفكر فيه .

وأخذت أدفع عن نفسي التهمة ، و و امت، كأنها قد ربطت نفسها بي

لكل حب طعم ومذاق وطابع

لا يمكن أن يكون الحب، كله، صورة واحده ، وسر ذلك بالطبع هذا الانسان المحبوب الذي يصب في نفوسنا الصورة على وجه مغاير عما يصبها الانسان الاخر .

فانا في هذا الحب لا أحس بالحرقة ولا الالتياع الذي كنت أحس به في حبي الاول . أن باب المقارنه ، يعطيني صورة مغايره كل المغايرة

ليست المرأه هي المرأة أبدا . فان ما يقال هناك لا يجد في نفسي الصدى هنا

أن الاساليب والاسلحة القديمه قد بدت مفاوله صدئه في المعركة الجديدة بل أن بعضها كان يأتي بعكس النتيجة المرتجاه !

.. ترى هل يمكن أن يستمر هذا الحب في نفسها ، والى أي مدى . أن لبها جوهر نقي ، أنها تحب وتريد أن لا تحب ، لقد عرفت كل شيء عني

عرفت أنني زوج وأن ظروفي المالية مضطربه ومع ذلك فهي لا تزال تحبني

جفوه .

أنها تملأ قلبي بشيء لست أعرف ماهو هل هو الحب. هل هو اعجاب هل هو : عويض عن حب ذاهب.

وهي ، أهي من ذلك النوع البوهيمي ! الذي يصادق ويحب ثم ينصرف لقد قضينا ساعات هنيئة في كازينو شارع الهرم .

أخذنا نتحدث في رفق وهناء . لولا أنها أزعجتني حين قالت لى أنها مريضة بلغط في القلب . وأنها تتوقع أن تموت قريبا .كل الاطباء قالوا لها ذلك

ترى هل يدفعها هذا حقا الى ان تعب من الحياة . تعب بعنف . هل يعطيها هذا المعنى الكامن في النفس، ذلك الاندفاع نحو المتاع ، وهل يمكن أن يطمئن مثلي اليها

أشهد بانها تحبني أكثر مما احبها . أنني أحس بالزهو حين أتصور أن فتاه كهذه مصقولة الجبين ، ذهبية الشعر ، تلتفت اليها العيون أينما تحل مثقفة ، رائعة اللحظ والحديث والصوت عندما اراها تكبرني ، وترانى ملء حياتها . أنني أسائل نفسي الان

هل انا احبها فعلا ، ومن اعماق القلب . ان هناك احساس بانني احلم انني في غيبوبه وتهويم ، انني غارق في عاصفة من عواصف الاحاسيس ولكن نفسي تقاسي موجة الركود .

أنا لا أحس بالاحتراق ، الذي كنت احس به في حبي الاول ، ترى هل سر ذلك أنني أجد اليوم جوا اكثر طلاقة،وأننا نتصرف معا تصرف الاحباب

وأننا نلتقى معا على ذلك الحنذان الحلو العب الشهى

أن قلبى يتجه اليها بقوة . وأنظر الى المستقبل

أن الخطوات التى بيننا قد تقاربت ، وأننى كلما رأيت نفسى أبدو قريبا أحاول أن أبعد أحاول أن أتوارى . . اشفاقا على نفسى من الخطوة الثانية

أننى أشفق على حياتى الطليقة من أن تتحطم ، على أقدام هذا الحب الوليد

لست أدرى لماذا أجدنى جبانا عن أن أخرج من القوقعة . أننى اخاف من المستقبل .

أن جوى القديم البالى ، ما يزال يفرض سلطانه على ، ولا اجد قوة لأحطمه .. او اتخلص منه ، أن طبيعتى من ذلك النوع الذى لا يجرؤ على التغيير من ذلك النوع الذى يصعب عليه أن يعادر عشا عاش فيه خمسة عشر عاما

وهى تحس ذلك بطبيعة المرأ النفاذه . وتتهمنى بالعجز والجبن عن التخلص من الموقف

وفى البيت كانما كانت زوجتى تعرف ، أن كلماتها فيها ذلك السر الذى تحسة المراة فى زوجها عندما يكون مقدما على عمل جديد

وأنا على طريقتى القدرية أدع الامور تمضى فى طريقها لا أغلق الباب الموارب ولا احطم العقدة وأنتظر الحل ياتى دائما من خارج ارادتى وتصرفى

*

انها تحس بمدى الخطر الذى يكمن وراء علاقتها بشاب وزوج مثلى أنها تقول لى أنت مثالى جدا

واحس انا من وراء هذه العباره بمدى الشعور بالنقص الذى تلحظه

انها تخشى الرجل الذى فشل فى تجربته الاولى . آه لو عرفت انه فشل فى تجربته الرابعه والخامسة ، ايضا ..

انها ترتعد امام الاحساس الذى يملأ نفسها بالتجربة الاولى

هذا الزوج الذى لم تستطع زوجه أن تملأ عليه حياته ، ثم مضى يفتش عن روح جديد هل تستطيع امرأه اخرى ان تملأ حياته .. وهل هى على تلك الصورة الجباره الباطشه التى تستحق حين تحب و ب

أننى أرى فى نفسها ذلك الخوف ؛ حقا أنها تمشى على الشوك ، انها تحب رجلا زوجا ، فهل تستطيع ان تنتزعه ، . أن له تكاليفه و اوضاعه ، وقلبه المقسم وظروفه . كيف يتاتى لها ان تظفر به .

وقالت لى فى صراحة ، اننى أنانيه . اريدك لنفسى وحدى ، لا يشركنى فيك أحد ولفرط اضطراب نفسها ترانى ذلك الذى يريد ان يملاء فراغ أيامه

وفى الوقت الذى تدفعنى فيه ان اكون حاسما ، تتراجع وتنطوى وترى نفسها اثمة ، أن تاخذ من وقت أمرأة اخرى

وتنظر الى من ناحية أخرى فترانى أحبها فتنسى كل شىء وتندفع نحوى ولكنها تتراجع بسرعة .

أنه يريدها زوجة ؛ ولكنها لا تقبله ممزقا .

.. ولكن هدى ترتعد حين تراه يفهم ماتريد . من المرأة التى يحبها : -

أنه ظل تائها حتى التقى بها. وكان يرجو يوما أن يتاح له أن يلتقى بالمراه التى تملأ عليه حياته وتاخذ بزمامة . أمراة عملاقة تطرق هذا القلب بقوه وتحتلة بعنف . آله ذلك النوع الذى لا ينطوى ولا يستسلم ويرى عاطفة المرأة أيا كانت اقل منه ولسكن أمراة واحده ومن نوع غير معروف . قد اتى فيسلم اليها نفسه كالعبد الاسير . ويعيش فى كنفها راضيا أن هذه الصورة تزعجها حقا . فتطوى صدرها على الالم الدفيق :

هدى

ومضيت الى نفسى افكر

وتبينت أن هناك شبحا مخيفا يقف وراء هذا الحب الوليد .

أن زينب . هذه الفتاة التى لعبت معى اضخم دور ما تزال كامنه فى نفسى

لست ادرى كم احس بالفتور النفسى مع « هدى » فتاتى الجديده ، بينما هى تعطينى من عاطفتها الكثير .

نفسى هذه الغامضة التى تجرى وراء الحبيب الذى يهجرها ويصليها العذاب بينما تتعالى ازاء الحبيب الذى يصلها ويسلم لها ..

.. انا أتهمها بانها مكبله بالقيود ليس لديها ذلك الريش الذى تجعلها تطير فيها قصور عن المغامره وليس لديها القوة على تحطيم القيود والاسوار وهى تتهمنى بانى غير جرىء .. وتنسى اننى وفى . فلو كنت جريئا فى قطع هذه الرابطه دون مبالاه هذا الماضى الطويل . لكان ذلك معناه التضحية باى أمراة

وفكرت فى أمر هدى .. انا اكبرها باكثر من خمسة عشر عاما وان فى

الوقت الذى تبلغ فيه سن الاربعين ، اكون انا فى الستين اى انه فى الوقت الذى تكون هى فى اوج قوتها . اكون أنا فى أوج ضعف

أنا لا استطيع أن اتصور هذا يوم اقف بجوارى تتفصد حرارة وقوة وليس لى ما اعطيها اياه

*

عندما رفع بصره الى نتيجه الحائط ، تذكر تجاه ذلك اليوم « ٥ ديسمبر » ومرت فى جسده رعده :

حقا أنه فى مثل هذا اليوم منذ خمسه عشر سنه . عجبا لتصاريف القدر ، أنه الان يحس بشيء غريب ، الا ما ابعد الفرق ، الاما اسرع ما يجرى الزمن ويطوى فى عجلته الدائرة قصة طويلة

أنه يبتسم ابتسامة ساخر ، كيف تحولت نفسه من حال الى حال ، وكيف يبدو الان فى صورة الانسان الشريد ، الذى لا يعرف كيف يوائم بين حياته الوقعه وعاطفة الثائره

أنه لا ينسى بول فاليرى حين قال « أن الزواج عقد من العقود ينطبق عليه كل ما ينطبق عليها ، أى عقد يمكن ان يظل ناقداً بعد خمس سنوات أو عشر سنوات دون أن يكون هناك من العوائق ما يغيره . ويبدله ويجعله مفسوخا »

ولكن هل يصدق هذا القول حتى مع الاختيار .

لقد أختار تولستوى وتزوج عن حب ومع ذلك فقد تحول . لقد أحست

أنى أمر بأزهى أدوار حياتى من غير شك ، ولو استطعت أن أرتضى حياتى الواقعة الان لسعدت بها كثيرا . غير أنى لست أدرى لماذا أجدنى كفرس مغمض العينين لا يرى الحياة التى من حوله . منطلق الى غير غاية معروفه . غايه مجهولة غير واضحه المعالم .

والست أدرى هل حقا سأصل فى النهاية الى شىء ، أم أننى سأهوى فى اعماق حفرة ، دون أن أكون قد تمتعت بالحياة .

لماذا كل هذة العجلة ؛ لماذا هذه النار المتقده فى الاضالع ؛ ولماذا أبدو فى صورة الجواد المنهك الذى يتنفس بصعوبه .

وقد كنت استطيع أن اخطو راضيا سعيدا ، أمتع نفسى بالايام اليست هذه الايام التى تمضى من حساب العمر ، اليست من هذا الوقت الذى نبدده فى الجرى ، دون أن نسعد به . لماذا أحس أننى فى دوامة عاصفه :

اليس من الخير أن أرتضى هذه الحياة التى أحياها . أقطع ما بينى وبين لاهام . أن الاوهام تشوب صدرى بفيض ضخم من الضباب والامطار اوالسحب الكثيفة المغلقة .

أننى لا أفيق أبدا أنما أعيش فى أحلام ، حتى لقد غلبت العاطفه لحادة على الواقع ، بدأ كانما هناك هو فسيحة بين خيالى وواقعى .

لماذا أرانى أتوقع شيئا غامضا .

لقد أحببت وما زلت معمة فى حب . ولكنى لست راض عنه . أن الصوره التى فى نفسى للمرأه التى ارضاها ، لم اجدها بعد . أننى لا أريد الجمال النسيط ، ولا الحب المعتدل الهادى أننى اريدها حريقا من الجمال وعاصفة فى الحب تثير الجنون فى اعماق وتفزع روحى وتقتلع جـــذور كل

شيء ، فلا أقر .

أننى لا أحب الوسط ، ولا أحب الظلال . ولكنى أحب أقصى الحبل أننى أرسم فى نفسى صورة أمرأة تبهرنى وأنا بعد أريد المجد أريد أحقق لنفسى الصورة التى أريدها ككانت وأديب ومفكر .

لقد ضيعت هذه السنوات الاربع الماضية فى القاء الفتات على موائد الصحف والمجلات وبذلك لم أكسب شيئا ولم أصل الى ما كنت أرجو .

*

أول يناير .

لماذا أفكر فى الماضى البعيد وأحمل على كاهلى متاعبه . وأعيش كانما أنوء تحت احمال خيال أريد أن أحوله الى حقيقة ، وواقع أحس الضيق به ، وأمل يبدو بعيدا كالنجم ، فاحس بالانقباض .

أهو هكذا الحب ! لماذا لا نعيش الانسان مع القدر . لقد وضع القدر ستارا على غيب الغد ، فلماذا نبحث نحن عنه . لماذا لا أنعيش اللحظة الواقعة ولا نرتب شيئا على الاماد البعيده .

لماذا نحس باننا نقبض بايدينا على اشياء وهمية . لانملكها ، وكاننا نخشى لو أنصرفنا عنها أن تذهب وتفلت من أيدينا وما قيمة الحياه أذا كانت على هذه الصورة من الوهم .

لماذا لايعيش الانسان مرحا مشرقا راضيا يمتع باللحظة واللحظة ، دون أن يضيق بشيء . لعل الذى يمنع ذلك مايراه الانسان من وجوه النقص التى

يضيق بها صدره

ولكن اليس من الخير أن يكون الانسان مرحا جريئا لا يخاف شيئا أن في نفسي ذلك الخوف المكتوم المكبوت الذي يحرمني من أشياء كثيرة لماذا أحس كأنما كل خطوة أخطوها ستحطم حاضري . أني أخاف من شيء مجهول لا أعرفه . لعله من الاوهام

أنني أخاف من صورة الماضي الكئيبة ، تلك الايام السوداء التي كان يعيشها فقيرا بائسا . ولكن لا يوطد نفسه على أن يلتقي كل شيء ، سواء كان نصرا أم هزيمة ، ولماذا لا تكون نفسه قادرة على احتمال كل شيء ومواجهته .

لادع هذا ، لاعش جريئا . ولا ستقبل الحياة متمتعا بها . بكل لحظاتها وساعاتها . سوف لاأنطوي بعد الان ، هذا هو نداء العام الجديد .

لماذا لا تكون لي دنياي الخاصة أعيش فيها على الوجه الذي أحبه . لماذا لا يكون للانسان اكثر من حياه : لماذا لا تكون هذه الصورة كلها الوان لحياة متعدده الجوانب ساعيش جريئا في لقاء الحياه . وأندفع وراء المجد . ووراء الحب ساكتب وأنشر واحب . وساخلق لنفسي دنياي الخاصة .

متى كان البيت هو كل شيء . متى كان هو المكان الوحيد للمفكر أنه لاكبر الخطا ان يعيش الانسان في حدود محددة من اوضاع معينة .

أحسست اليوم بتحول في نفسيتي ، تحول عجيب ، هو نفور من هذا

الاتجاه الذى أمضى فيه .

جاء هذا الشعور على أثر هذه المقابلة وهذه العبارة ،

لست أدرى كيف أن هذه الع ' ـة بالذات قد ملأت نفسى نفودا كأنما قد أنتهت الحب الذى كان قائما فى نفسى .

لقد رايت اليوم أننى كنت أجرى على اسلوب غير طبيعى فى الحياة ، . أن هذا الحب الذى كان قائما ، لم يكن من ناحيتى كاملا أو قويا

. كانت هناك أمراه أخرى ما تزال تقف بينى و بين « هدى » تظهر ى بين آن وآخر ، ـ بالرغم من أنى كنت قد أنهيت ما بينى و بينها .

لم يكن حبى الجديد ، الا لونا من الانتقام من هذا الحب القديم المظلوم كنت أحس فى بعض اللحظات ان قلبى لا يخفق ، أذ كانت تواجهنى بعاصفة من الحب المحرق القتال .

ولكن كلمة واحدة أمس . صدمتنى صدمة كبرى ، كانت أقسى من كل كلماتها العصبية .

لقد كنا متخاصمين على أثر عبارات ومشادات ، ثم عدنا والتقينا واصاحنا ما كان بيننا . و بدا أن الاثار التى كانت فى النفس قد زالت ولكنه لم يمض يوم أو يومين ، حتى عدنا مره أخرى الى الصراع .

أنها تريدنى لها ، كاملا خالصا ، غير منقوص . و تغار حتى من اللحظات التى يطلبها عملى . وتسخر من محاولتى للملائمه بين الاوضاع . هى ثائرة جدا وأنا هادىء جدا ، ولطالما أزعجها هذه الهدوء ووصفته بانه أعصاب موضوعة فى ثلاجة .

أمضيت فترة الصباح فى المنزل ، على مكتبى ، أطالع واكتب ما تزال امامى كتب مفتوحة تنتظر منى أن أتمها .

افكر فى أتجاهى الادبى ، وأحس كانما قد تاخرت كثيرا عن الظهور فى الميدان الادبى وليس بينى وبين الاربعين الا سنوات

أننى لست راضيا عن عملى . فانه ليس بالعمل الذى يناسب خبرتى ومحصولى . ولكنى أمشى وفى نفسى امال ، وأحس بان معى وقت واسع للقراءه والكتابة . أنها لقمة العيش التى تفرض علينا نوع العمل ونحن أنفسنا أزاء الحاجة اليها مضطرين لان نقبل أى وضع .

لقد أنتهيت من بناء المنزل الجديد ، الذى أنصرف اليه مالى وجهدى خلال سنتين ، ولكنى لم اسكنه بعد . كانت « هــدى » تود لو ان أبيعه لاشترى مسكننا بدلا منه فى « مصر الجديده » . حياتى الخاصة مضطربة ؛ وفى رغبه الى جو من الدعة والسكينة . ولكن هل نفسى حقا تحب ألامن ، أم ترغب الى المجازفة والصراع والمغامرة والاندفاع .

أن امامى اجواء مصقوله لم أطرقها ولا زلت احلم بها ، لا زلت احلم بافاق اخرى من الحياة فى اوربا ، وفى مجاهل الدنيا ، وفى الحب والجمال

ولكن أين المرأة التى تستطيع أن تمضى معى . أننى أبحث عنهافلااجدها لم التق بها حتى الان .

أن اللواتى عرفتهن حتى الان ، لا توجد بينهن واحده تمثل الصورة التى ارجوها أو تحقق المعنى الذى أنشده فى المراه . وانني لست على استعداد لاجراء تجربه جديدة قد تكون فاشلة ، ان النساء اللواتى عرفتهن فهن لا يعطين الا صورة المرأه التافهة التى تدور حول اهوائها .

ولعله من العسير حقا على الرجل الذى تزوج مرة ان يجد المراه التى ترضيه وعلى الصورة التى تملأ قلبه .

أننى أتصور فى خاطرى أمراة ممتازه ، واتمثل حبا عنيفا جبارا .

*

كانت أمنيتى أن يكون لى عش . أمضى فيه ايامى فى هذه الضاحية الجميلة حيث الحياه اشبه بالريف .

ولكننى تراجعت اذ رايتنى راغبا فى ان اكون قريبا من القاهرة لان هناك سببا كان يربطنى بها ولكن . هل يسعدنى حقا ويرضى نفسى أن أعيش فى بيتى الريفى وحولى كتبى وأقلامى والموسيقى . أم ان حياة القاهرة واضوائها ما تزال تملأ نفسى وتزعزع مقامى .

لست ادرى ، ولكننى كنت اظن دائما اننى فى حاجة الى قلب ، قلب كبير ، يملاء فراغ روحى ويدفعنى الى لون من الحياه ، ليس فيه ذلك الملل والتشابه

أن عقدة العقد فى نفسى هى حياتى الخاصه الفارغة من كل سعاده ، انى اكرهها ولكننى لا استطيع ان اتحرر منها ، عوامل كثيرة تربطنى بها واحس

باشفاق بالغ حلا تمر بذهنى فكرة الانفصال . لن اكون ظالما لمن احتملوا متاعبنا طوال هذه السنوات .

انالفتاة الاولى « زينب »مازالت تزحم تفكيرى فى الذ الاوقات صفاء مع هدى واجدنى ، فى كل لحظة ، صريع مقارنة عاصفة بينهما كان مفروضا ان تكون هذه البعيدة المتكبرة العزوفة ، التى لم ارها منذ شهرين . بعيدة ايضا عن القلب .

ولكنها تبدو بقوة ، وتناقش بعنف ، وتجعلنى انظر بحذر الى هذا الحب الجديد الذى يبدو قويا من الجانب الاخر

أننى أحس أن جوها السحرى - الذى كنت أعيش فيه قبل الان - حلم من احلامى التى ظلت تداعب نفسى عاما كاملا ، دون ان استطيع ان أنتزعها منه ، أنها لم تحبنى كما أحبتنى هدى ولم تعطنى ولكن ،

لست أدرى لم أجد نفسى ولوعة بالممنوع ، راغبة فى الممتنع ، مندفعة وراء تلك التائها فى دلها وجفائها .

اما هذه التى تعطينى حبها سائغا شهيا ، وأحس فى كل لحظة أنها تملأ نفسى من ودادها . فلا اجدنى متجاوبا معها الى الحد الطبيعى .

أننى أنكر نفسى واضيق بهذا الجفاف ، انا الذى سعيت الى حب جديد لابدأ حياة اخرى .

*

هذا الاحساس الذى يمر بالنفس منذ أمس ، بعد ان رايتها مرهقةمحطمه لم اشمت فيها . وكانت خليقة بالشماته فلا زلت أذكر تلك الكلمات القارسه التى أنزلق بها لسانها أول أمس .

ليس من شك أنها تطوى قلبها على حب هو اقوى من حى ، وما هذه الالفاظ الا دليل اكيد على هذه العاطفة الحاده الصادره من نفس غيوره تود لو ان تمتلكنى لها وجدها .

كانت سهرتنا حلوة عذبة ، وقد بدات جميلة رائعة ، فى دار الاوبرا ونحن نشاهد تلك المسرحية الجميله « سر شهرزاد » وكان الحنان دافقا والجو ناعما . وكان الحب المتبادل يبدو فى اروع صوره .

ولكن ما كادت العواصف تعصف بنفس شهرزاد حتى سرت العدوى الى شهرزاد ودخلنا فى معركة من تلك المعارك العصبية العنيفة أذ تكشفت لها حقيقه كنت لا زلت اخفيها عنها طوال هذه الفتره سالتنى عن « زينب » ولا أدرى كيف عرفت قصتى معها .

فلما قلت لها أنها ماتت فى نفسى . أنزعجت وقالت أن كل أمراة أذن عرضة لان تموت فى نفسك بعد قليل ، فانت متقلب مغامر ملول، تحب التجديد ولاتركن الى وضع واحد . فمن تلك التى تثق بك ..

أننى أخشاك ، أخشاك على قلبى ، وأنا لا أحتمل الصدمات ، اذن فدعنى خير لك . سياتى اليوم الذى تبحث فيه عن غيرى ، كم أمراه عرفتها قبلى . . كم واحده جلست معها فى هذا المكان تشهد مسرحية اخرى .

وأبتسمت دون أن أجيب عندما تذكرت أنني فى مثل هذه الايام ، من العام الماضى كنت أتفقت مع « زينب » على أن نحضر المسرحية الاولى لافتتاح الاوبرا . ولكنها جاءتنى فى هذه الليلة تعتذر لسبب قاهر .

وهنا عادت نفسى تذكر « زينب » فى عنف .

كنت أحس أن حنانها من نوع آخر ؛ ومضت نفسى تقارن فى شوق وحزن . لست أدرى هل يحمل بعض الناس عذوبة من نوع معين تزرى بكل شيء

هذه هدى اكثر ثقافة ، وأبعد غورا فى فهم الحب والحياة ولاشك مستواها يلقى فى نفسى كمثقف غاية الاعجاب ، ولكن اعصابها . غاية فى العنف والاضطراب .

أن « زينب » أحبتنى دون أن تسال أو تشترط . ولم يزعجها أن تعلم عنى امرا من أمورى الخاصه ، مادام لا يدخل فى محيط حبنا القائم . أما هذه فقد أزعجها الماضى وكان يسرها أن أخدعها عن الواقع والاحداث ولكن هل هناك سبب اخر يجعلنى أذكر « زينب » بعنف وأنا عائد من سهرة مع هدى .

أننى أحس بالشوق العاصف الى صاحبتى القديمة ، التى عاشت منقبضة عنى الى حد ، . هل النفس تزهد العطاء ، وتجرى وراء البخلاء الذين لا يبذلون . أم أن « زينب » تحتل مكانا خاصا لمأساتها الخاصة . ولكن ماذا بعد ذلك

أننى أحس كان نفسى تضطرم بالحب لهما معا ،أى نفس هذه التى تستطيع ان تجمع بين حب امراتين ، تحب فى كل منها شيئا ما . تحب فى تلك الكبرياء

والصمت والعزوف وممزوجا بالحزن والوحدة والالم وتحب فى هذه الغيرة والحدة والعنف ممتزجة بالثقافة والرشاقة والجمال الاغريقى .

هذه التى لا تريد أن تعترف لك بالحب . وهى فى كل خطوه تخطوها تملأ احساسك بحبها لك . وهى التى تنطق فى كل كلمة بالحب وتعلنه . ولكنها تضفى على تصرفاتها اسلوب الجمام . ما اشقى الرجل الذى يعرف المرأة . وما اشقاه اذا لم يعرفها .

أنها بحر لا ساحل له . هذه المرأة ، هذه النفس العجيبة التى صنعها الله على اسلوب غامض ، فاذا هى سر من اسرار الكون

*

ياعجبا ، هذا خطاب من « زينب » تحدد لى موعدا للقاء فى نفس الموعد الذى حددناه انا « وهدى » . يارب ايهما اولى ، وايهما أفضل وهل استطيع أن أجمع بينهما .

وأخيرا ذهبت مع هدى فامضينا ساعات هانئة تحت ظل الهـــرم ، فى الغروب وطفنا حول هذا الصنم الضخم الخالد على الزمن .

ولما افترقنا وعدت الى العمل وجدت خبرا بان تليفونا سال عنى وأخذت افكر وقد غاب عنى الموعد

*

أحس باننى فى ازمة ياصفيه ، لم تجرى من قبل .

أن كل صورة لا تشابة الاخرى ، أنا الان أواجه حبا صادقا وفتاة تتالم تعمل وتكافح وتحمل أعباء اسرة بمفردها .

لست أدرى لماذا لا يواجهنى القدر الا بهذا الصنف من الفتيات المجهدات النفس . صاحبات الازمات القصص والماسى هذه قصه تستثير نفسى اكثر من قصه . أنى حزين ومشفق لها وعليها الى أبعد حدود الاشفاق .

أنها بعد أن روت لى قصتها القت متاعبها على اكتافى . لقد عدت أمس ودوامه تتقاذفنى . هذه الفتاه التى تعترف لى بالحب قويا فى نفسها والتى بالرغم من هذه المشاكل العنيفه المجهدة تلقانى . وتهدينى .

أننى احس باننى فى ازمة عاصفة تملأ نفسى بصورة مرغبه لاول مرة

وتفتحت فى نفسى معانى انزعجت لها . أننى اندفع فى طريق خطير . وهذه التى تنتظرنى ولا ذنب لها كانما تنفذ الى اعماقى وتصل الى ماوراء المظاهر

أنها تنتظرنى فى احساس صامت مكبوت . وهى ترانى معها فى حجرة واحدة من بيت واحد ، ومع ذلك فان بينى وبينها أماد من الزمن والحياة أنا هناك فى اوهامى وأعماقى واحلامى ، وبين تلك الصور التى تترائى لى من بعيد .

هذا هو الخاطر الذى أزعجنى ، وجعلنى أحس بالحيرة .

أن ضميرى كان فى هذه المرة يقظا . كنت أحس كانها تطالبنى بحقها عندى . حقها المشروع .

واحسست كانى أتجاهلها . ولكنى لم استطع أن أمضى فى التجاهل كانت كل نظره ، صورة ليد تمتد تطالب بما لها عندى .

حقا . أنها لا تهدى نفسى تلك الطاقة القوية التى اريدها ، ولكن ليس عندها ما نعطيه اكثر مما فى طوقها وقدرتها .

انها تحس أن الرجل الذى كانت تعرفه صغيرا وفقيرا . قد طوى شراعه عندما بدأ يلمع . وتتفتح له ابواب المجد ، ومضى نائيا كانما قد نسى ايام ايام الفقر والظلام .

كان هذا الشعور وحده يملأ نفسى بالالم الممض . ولكنه الم صامت لا يفصح ولا يبين . أنه صوره الترويع العنيف فى نفس المرأة التى عاشت خمسة عشر عاما ، ثم هى تنظر فاذا كل شىء أوشك أن يضيع من يدها .

الكلام مقتضب . والوجة لا يفتر عن اشراق . والنفس نافرة . والجو يفوح كله برائحة الجفاف والجفاء والاعراض

وبقيت هذه المعانى الصامته تغمر نفسى فى عنف . كانت كل ساعات النعماء التى أمضينها ، تردنى الى السؤال . هذا السؤال الذى لا استطيع أن أجيب عنه .

هنا رايت ضميرى يهزنى فى عنف . ووجدت أننى ظالم أشد الظلم . فبدأت أحاول أن أقرب الطريق ، واصل مامضى .

ولكنى فجعت ، . حينما وجدت أنى فى حالة أنفصام نفسى وحيوى .

وحاولت أن أستعيد طبيعتى فعجزت . كان هذا الانفصام قد بلغ مداه كانت الصورة التى مرت مرورا خاطفا ، كانما قد استقرت فى اعماقى وكونت جوا نفسيا جديدا صدنى عن كل شىء وصرفنى عن طبيعتى وحياتى السائرة .. وهذة أول مرة يواجهنى هذا الاحساس الجديد والشعور الغريب

كانما قد وضع الحب ستارا مظلما كثيفا بين الواقع والخيال . وملأ نفسي بمشاعر خياليه شائمه . وساقني الى رؤى جميلة تزرى بالواقع وتمتهنه بعنف . وأمس عندما قصدت الى مصر الجديدة ، وعدت . كان الالم يملاء نفسي على صوره اخرى ؛ ويحز في قلبي ، هذه التي كانت تشير معى في هذا الطريق ماذنبها ماذا يجمعنا . ماهو الغد ماذا سنعمل

وكان الظلام يغمر قلبي . الضباب يمنع الاضواء من ان تصل الى نفسي

وتزل المطر ، اليوم ، وتدفق . وانا أنتظرها هناك عند محطة المترو .

وظل المطر طويلا ولم ابرح .

ولكنها لم تعد .

اكتب « هذا » من بعيد . من مكان ناء . بعد أن أنقطعت عن هذا المحيط القاهرى اكثر من شهرين

أفكر الان بحرية وانطلاق . وقد حفت من نفسي حدة العاطفة الجامحة . لقد أحسست منذ اليوم الاول ، واللقاء الاول ، أنها ليست ذلك « المثال » الذى احمله في اعماق نفسي . انها من نوع جديد لم يكن يخطر لى أن التقى به أو أتعرف علية . فيه رائحة غريبة ، باريسية واضحة . هذا الشعر الذهبى ، وهذا الوجه النحيل الدقيق ، كان يرسم لى صورة من أوربا . كنت

أحب هذه الصورة واشعر وأنا بجوارها بنوع من الفخار ، ولكنى كنت أحس دائما أننى لم أصل بها الى المثال الضخم الذى رسمته فى اعماق لامراه احبها

لست أدرى كيف تبدو المرأة رائعة الشخصية من بعيد . فى أول لقاء ثم أذا بها تبدو تافهه ، ليست الا عاطفة جارفه نحو شيء واحد ليس للحب عندها اجنحة ولا هو من اسباب التحليق ، ولكنه يرمى الى الانطواء ويبدو فى صورة واحده ، رجل تاخذة من حياته رمطامعه ودنيا واجاده وأفكاره ، وتجعله قاصرا عليها وجدها

وفى خلال المرات المتعدده التى التقينا فيها . هناك تحت حافة الهرم . وفى حديقة الكازينو ، وفى الطريق من الزمالك الى القاهرة على اطراف النيل كانت نفسيتها تنكشف عن امراه تغار من كل شيء ، تغار من الماضى البعيد والمستقبل القريب ، وتنظر الى الرجل الذى تعرفه على أنه شيء تملكه .وهى الغضوب المسرفه التى تضيق بكل شيء

حديثها نوع من الصراع تخلق من أوهامها واحاسيسها ووساوسها قضايا انها تخاف من الرجل الذى تعرفه أن يطلب متاع اللحظه ، ثم تخاف أن تكون منه فى موضع السخرية او ان جمالها لا يبدو له قويا . فهى مشغوله بزينتها فى كل وقت ، تنظر فى كل مرآة . وهى دائما متحفزة للعراك . تفسر الكلام وفق هواها . وتخلق المعارك لتحس دائما بانها مدلله ، ولتختبر فى كل لحظه مدى حبه لها وعاطفته نحوها .

وقلما تهدأ أعصابها فاذا هدأت لانت ، وأخذت تفضى بذات نفسها

. . كانت حلوه لذيذه أمسيات الهرم ، عندما غربت الشمس خلف الافق وعندما بدا الليل يرسل سدوله على الكون شفت روحها ، وأخذت تتحدث وتنطلق كيف أنها هربت من المتاعب التى تقاسيها فى البيت ، لتلتقط هنا بعض أنفاسها ولتتعزى عن متاعب العمل القاسى طوال اليوم . وما لبثت أن حدثتنى عن مرضها بلغط القلب . وانها ستموت قريبا .

وأنها تودلو أن تتمتع نفسها بالايام الباقية . ولذلك فهى تنشد الحب

كانت فى تلك اليلة حنونه ، نسيت كبريائها وغيرتها . وكان الليل قد ارسل مع ظلامه الى نفسها هدوئا ورضا . وفى طريق الهرم الهادىء الناعس وفى قطار المترو الى اخر مصر الجديدة كنا نتحدث كانما أردنا أن نذهب من طرف القاهرة الى طرفها الاخر . ، وكانما كلمة واحده اقولها فتمس من نفسها كل عاطفة .

لقد احسست حقا بقلبها ، يحبها بعاطفتها حارة مشرقه ، تنظر الى على انى مثل اعلى ، . قالت أنها عاشت اياما وفى نفسها لهيب وضرام . ولكنها تحطمت عندما عرفت انى لست لها ، او انى لن اكون لها . وحاولت ان تميت عاطفيها ، باسلوب عجيب هو ان تفتر ما بيتى وبينها ، وتثير معى من المتاعب النفسية ما يجعلنا تختصم ويتحطم ودنا ، حثيثا

ولكنى حرصت على ودها ، وحاولت ان ارضيها ما وسعنى الرضا ومع

ذلك فقد بقيت تخفي عني احساسا انها شيء غريبا لا أدري كيف استنتجته هو انها لا تملأ نفسي وأنني لا احس ازائها بحرارة العاطفة .

لقد لقيت منها عجبا . كانت في أشد اوقاتها صفاء تتحول الى التجهم والعنف في لحظات . نظراتها تفصح عن نفس مشوقة الى عاطفة رجل . دافقة الحنان حتى أنها تبدو احيانا كأم ، وضاريه حتى أنها لتشبه صوره الوحش الجارح .

قام بيننا الحب فجاه ، وكانت المصادفة هي التي جمعت بيننا ثم اشتعل الحب في نفسها ووقفت انا منه موقفا عجبا . كنت احس بعاطفة لها وأنا معها ، ولكنها عاطفة ليست محرومة ولا طاغيه .

كنا نجلس الى مائدة واحدة ، نتحدث دون أن نحس بالوقت ، فاذا لفحنا برد ليالي الشتاء . وكانت المدينه في تلك الساعات قد هدات قمنا نمشي في شوارعها ونتناجى . وهي متكاه على زراعي في حنان .

ولكننا انفصلنا مرة ومرة ومرات . وكنا نخلق الاسباب لنلتقي ، كان كل منا يسعى ليرى الاخر .

هناك في الزمالك كنت انتظرها في الظلام طويلا حتى تعود من عملها ، لارافقها هذا الطريق الطويل الى المترو نمشي في بطء ونتحدث :

وكنت اسائل نفسي : ما السر في انني لا احس بالعاطفة لفتاة رائعة الجمال ، تكن لي عاطفة حادة . وتظن انني قد املاء حياتها المجهدة .

حقا لقد كانت في نفسي عاطفة احرى كامنة لم تمت بعد لقـــد انقطعنا منذ وقت طويل وكنت ريد ان انسى . انسى بحب جديد ولكني من

العجب كنت أعود بعد لقاء يطول احيانا ساعات فاذا ابى احس كان قلبى ما يزال مغمورا بالحب للفتاة الاولى .

ان فى الطبيعة البشرية عجائب يبدو أنها لا تزال لم تستكشف هذه التى تمنحنى و تعطينى وتحبنى من كل قلبها اجدنى ازائها هادئا فاترا بينما اجدنى احترق عاطفه الى تلك التى لم تمنح نفسى الا القليل

هل تميل النفس نحو من يحرمها اكثر مما تميل الى من يمنحها .

أم ان الصورة النفسيه القائمه الباقية فى اعماقى منذ عام للفتاه الاولى بالرغم مما بيننا من تقاطع الان . لا يزال تملأ النفس فتحول دون صورة اخرى .

هذه « هدى » لا تبدو فى نظرى فى جمال « زينب » ولا فى روعتها ولا فى اثرها القائم . بالرغم من انها ابهى رونقا . واصفى روحا واكثر ثقافة وتعليما . ومن محيط أرقى وهى الى هذا انيقة ، كالزهر النديه .

انها قد اعطتنى الكثير من الود واحسست من بغامها انها تفيض بالحب لى وهى الى ذلك صريحه فى هذه العاطفه لا تدفنها ولكن تعلنها فى اسلوب لا يغض من قدرها

ومن الناحية الاخرى تسال عن كل شيء وتحاسبنى على كل لفته ، وتثير دائما الحديث عن الماضى ولكنها حريصة على موعدها ولا تتاخر عنه

اما « زينب » فهى عنيده متكبره . تخلف مواعيدها عامده وهى قليلة الكلام فاذا تحدثت اصرت على ان تؤكد ان ما بيننا صداقه لا ترقى الى اسلوب الحب وهى عندما ترانى اظهر حبى لها تلجا الى الفتور ولكنها لا تسالنى

عن الماضى ولا تحاسبنى على شيء .

وفيها جفاف وبرود عاطفى وانطواء لاتحس وانت تتحدث معها بحرارة قلب . بينما ترى هدى مرحه طروبة لبقه ، فى نظراتها حرارة وفى عباراتها حيويه ونفسيتها منطلقة مشرقة

وبالرغم من اننى احب هذا النوع من النساء فانى منجذب الى الاولى تلك الفنينه المتعززه الصامته المنطويه .

غير انه يبدو ان المظهر ليس وحده الذى حول نفسى وجهتها ولكنه شيء اخر انه الاثر النفسى صوره المراه فى ماضيها . هذا السر الغامض الذى يبدو لى من بعض احاديث الناس كانه يرسم قصة مثيره . هذه القصة الكامنه فى اعماق الفتاة الاولى ، وهى حريصه على ان لا تمسها ، أو تفصلها . ما هى هذه القصه ، أى دور لعبته هذه فى الماضى ، ان هذا هو الذى يعطيها فى نفسى هذا الوضع المثير ، اضف الى هذا ، استعلائها . هذا الجو النفسى الذى تعيش فيه بما فيه من ريبة للرجال وشك فى نواياهم مهما اخلصوا . وهذا الاتجاه الروحى الذى يدفعها الى التصوف والى التكفير عن الماضى . وهذا الالم المرير لحياه فتاة خيالها اكبر من واقعها وطموحها اعظم من وسائلها لست أدرى لم كنت دائما اذكر تلك الفتاة الضنينه المنطويه على السر. عندما كنت التقى بهدى . ولعل تصرفاتى معها التى كانت تراها غريبة . انما كانت من وراء الوعى - انتقاما كنت اقتص به لنفسى من « زينب »

والان وانا اكتب هذا احس بان قلبى يخفق لهما معا كانما هما شقين لصورة واحده فى نفسى

لست أدرى لماذا أجدنى منقبض النفس هذه الايام

لقد انقضى أكثر من ثلاثة اسابيع بعد عودتى من الغربه ، ومع ذلك فانى أحس باني لا اهتز للمرأة والحب . ولا أجد هذه العاطفة الحاره العميقة التي كانت تملأ نفسى قبل السفر .

هذا الحب الذى كان يملأ قلبي ، لماذا انطوى ، . حبى للمرأة ، ليست امرأة معينه . انما هو حب كان يشغل روحى ويداعب احلامى . كنت أحس كاني لا استطيع أن أنفصل عنه ، كانت هناك منطقة فراغ نفسى قائمه لا يملأ ها الا هذا الاحساس

أم لعلها أزمة نفسية استبدت بى خلال أربع سنوات كامله بعد خروجى من الاسر فى المره الاولي . كانت أشبه بعاطفة مسيطرة دوامه ، كانت تطوينى فاذوب فيها وأجرى في تيارها الجارف الذي يدفعني بغير روية الى متاهات مجهولة .

حقا . لقد عشت صدر شبابى بعيدا عن هذا اللون من الحياة كان يبدو لى في شبابى الباكر كانه (تغير لا در الالف سنة) ميدان محرم . ميدان رهيب مخيف وكان للتربية الدينية والجو المحافظ أثرهما فى اقصائى بعيدا بعيدا .

غير أن امتداد الزمن وأندفاع النفس في شتي متاهات الحياه والاحساس الذي خرجت به بعد أسر دام عاما وعده شهور دفعني الى أن اقتحم فى الحياه وفتح لى باب التجريب فيها ، انه هو الذى دفعنى الي ميدان الحب

كان هناك انسان يملأ نفسى ، ثم مضى ، فاحسست بالفراغ ، وبدا لى أن الحب قد يعوض لى هذا الحرمان الحزين

ولكني انظر الان فأجد قلبي نابضا كالجدول الذى جف قاعه . وماتت على شاطئه الحشائش والعيدان الخضراء

ترى هل كان الحب وسيلة من الوسائل التي تبتكرها النفس لتعوض بها عن الحرمان ، وأنه لم يكن مذهبا اصيلا ، وأن هذه النفس تحب دائما أن تحس بالحياه والصراع ، فهى أن وجدته فى ميدان المجد والكفاح ، كفاها ذلك وصرفها عن الحب .

هل الحب فى ذاته عمل من اعمال الغرور والعظمة والتبذير فاذا وجدنا ميدانا آخر نحس فية بما يرضى الرجولة والكبرياء اكتفينا به .

ولكن هل يكفر الرجل بالحب ، اذا فتح له المجد باب النصر والظفر .

هذا القلب هل يضيق عن أن يحتمل الاقتحام في ميدانين هل هو يكتفى بان يحس بالسيطره فى أي ميدان فاذا لم يتوافر له فى العمل بحث عنه في الحب

أذن فهذا الحب ليس الا اسلوبا من اساليب النفس فى الشعور بالحياه والاحساس بانها تجد من حولها من ينظر اليها ويكبرها . أن أنتقالى الى منزلي الجديد قد حمل احاسيسى طاقه جديده أنه صنع لي جوا من الاعتزار والشعور بالتملك . أنه نوع من الحب وأن كان فيه صفة الماده ، ولـكنى أجد فيه نوعا من الحياه الجاريه .

تري هل يستمر هذا الاحساس أم ينطوي . هل يتبخر أم يتحول . هل تفتح النفس لها افاقا جديده من حب الحياه ، . سواء أكان فى ميدان العمل او الادب أو الحب .

لست أدري

الحب

ليس احب الى من أن أتحدث عن الحب

هذه الكلمه الحلوه العذبه ذات الصدى الناعم والرنين الموسيقى ، . أنى أحس حين أذكره أن أنغام الدنيا الجميله الرائعه ، وعطر الحياة الفواح الشذى وجمال البحار والانهار والجبال قد تجمعت فى نفسى كم أحب الحب . أننى لا اشبع من نعمائه وهنائه ، أحبه وأبغضه ، ما انتهى من تجربه منه حتي اكون اشوق الى تجربة جديده ، ويبدو الحب لي من بعيد ، كانه هناء الدنيا ، أرى الشمس الطالعة والربيع المونق . وجمال الصحراء وروعة السماء الصافيه ، وهدوء البحار وخريرا ياه . فلا أجد لهذا كله جمال ، مادام قلبي فارغا .

أري كل هذه الاشياء اطارات لحب ، أو لامرأه محبوبه . وأظل أحس وأنا محروم من الحب ، أن شيئا ينقصني ، أن طاقه من طاقات نفسي عاطله ، وان ولها فى نفسى يتحرك صوب مجهول ؛ صوب البحث عن وجه جميل .

فاذا احببت دقت في نفسي انغام حنونه ، أحس بانني بدأت أمتلك الكون . وأشعر بجمال الحياه وتتدفق في أعماقي عواطف قوية حاده . فاذا أمتد الحب وتعدد اللقاء بدات أحمل اثقال الدنيا واضيق بظروف ألحياه ، وأحس بالصراع والمطارده . ما اريد وما لاتريد ، ما احب وما لا تحب ؛ . وأذهب لافكر بعيدا ، بعيدا جدا فى أخر الشوط .

ماذا سيكون مصيرنا ، أريدأن أحس بان للحب واقعا ، لاصبر لي على أن يمتد الحب حلما وأحس في نشوه الحب وعنفوانه أن صاحبى هو أجمل من فى الدنيا وأروع من فى الدنيا . وتملأ نفسى زهاده غريبة لكل شىء الطعام والمال والادب، لأحس أن فى الدنيا شيئا جديرا بان يحيا له الانسان وأندفع بكليتى وراء الحبيب ، لاأدعه يهدا ، التقي به فاذا مضى طاردته بالتليفون أو الرسائل ، . . وظللت مشوقا اليه ؛ افكر فيه فلا اسلو ولا انصرف عنه . فاذا منحنى زاد الحب ذهب شحره وتكشف امامي على انه من بني البشر

واذا أنصرف عنى ، وراوغني ، أمتلات نفسي بالكراهية له والحقد عليه

واكون فى فترة الحب أشبه بالسجين أو الاسير الذي يكره القيد فاحسد الاحرار وأرجو أن اشم نسيم الحرية .

لقد عرفت الحب بانواعه ، ومع ذلك فان حبا واحدا لم يصرعنى ، هذا الحب الذى اتمناه ، وأنتظره وأسال عنه . لم يمر بحياتى بعد ، هذه المرأة

العاصفه الجباره الشخصيه . لم التق بها . قد ارى المراه فاحس بجلالها وخطرها ولكن ما أن اتحدث معها حتى احس بانها ليست الا واحدة من بنات حـواء .

المرأه فيما عرفت ، لا تؤمن بالحب الخالص المجرد ، ولا هي تندفع كالرجل باحثة نهمة عن عاطفة وحنان وقلب . وهي اذا التقت بالرجل وعرفته ومالت اليه ، كان أول شيء في نظرها أن تكسبه مادة لاروحا.

فهى لا تعرف الحب المجرد ، وأن جمالها ليس الا اسلوبا من اساليب الاستيلاء . وقيدا من قيود التسلط . فهى تتجمل الا لكى تفتن وتروع ، فاذا فتنت وساقت الى موكبها محبا ، كان املها أن يكون أسيرها .

فاذا عرفت انها التقت بانسان متزوج ، أزعجها ذلك مهما كانت العاطفة التي يحملها ومهما كانت العاطفة التي تحملها هي . فليس ذلك فى حسابها .

ولكني اسال نفسى تري هل عشت من غير حب يوما واحدا ؟ ذلك ما ليس من سبيل اليه ، فقد كانت حياتى منذ الشباب الباكر حلقات مترابطة من الحب انه حب واحد كان يتنقل في صوره متعدده وشخصيات مختلفة ، مامن بلد ذهبت اليه ، ومامن مكان عشت فيه ، الا ويحمل ظلا من حب ، كان فى ايامه صورة من الروعة والقوه والعاطفه الخالصة التى لم يختلط يوما برغبه أو نزوه ..

*

أدخل هذه الايام مرحله جديدة عجيبه جدا لم أتعودها في خلال السنوات الاربع الاخيرة ، فانا احس انني اتجـه نحـو الاستقرار . والراحة النفسية والسعاده ممثله في الهدوء والطبيعه والجمال . وكثير من احلامي الماضية تبخرت وذهبت أدراج الرياح ، لم تعد تشجيني تلك الرؤي والاحلام الغامضة ، ترى هل مصدر احساسى هذا هو أنني أزحف نحو الاربعين .

انى مازلت احب الحياه ، ولكني لا أحب ذلك اللون الذي كنت متهالكا عليه في السنوات الماضية ، هل كانت هذه الفترة طبيعه أم غير طبيعه فى حياتى

كل ما أعرف انها كانت مغايرة لاتجاهى من قبل ، لقد جاءت نتيجه لاني قذفت نفسي فى مجتمع صاخب بعد تحرز واغتراب طويل . ولكن يبدو أن المنزل الجديد ، وهذا اللون من الحياه وهذا الجو الشعري الساحر الذى يواجهنى فى كل لحظاتي . السماء الصافيه والمروج الخضراء الممتده . لعل هذا هو الذي حولنى . . . هل لم يعد لى قلب . . يخفق للجمال ، أو يندفع الي الحب . . تلك العاطفة الحاره الملتهبة التى كانت تملأ جوانحي

وتدفعني الى البحث وراء الوجه المجهول.

الان احس بان قلبي توقف عن الخفقان . وأن روحى قد قرت ، ترى هل تحول التماس المجد الى معين اخر غير الحب والمرأة . تراى اجده فى صناعتي وفني .

طال انتظارى

طال انتظاري

أني أترقبه وأنتظره ، . . هذه الايام ! ،

هذا الربيع يخلق فى نفسى دوامة عاصفة من المشاعر . أنني أحس الوحدة القاتله فى معترك الحياه المضطرب . . ، . . أننى أحس به قريبا مني ، هذه ارهاصاته ، أنا لا أستطيع أن أعيش لحظة من غير حب جديد

ولكن ابن المراة التى تحب خالصه للحب نفسه ، والتي تؤمن به ، أننا حين نجدها بحفوها ، هذه التي كانت ترانى في منامها ، لقد شاقنى حقا أن أجد عندها هذه العاطفه . ولكن ترى هل فتح هذا امامى ابواب الحب .

كلا ، فان فى أعماقي عناد ، أنا ياتى الحب عندي على صوره صراع يطول ويمتد ، وتترافر فيه عوامل اللقاء والغياب والمراسله . ؛ أن الصورة التي يخلقها الحب فى نفسى ماتزال نضره ، بالرغم من أنني أقترب من الاربعين

لقد عرفت الحب باكرا ، عرفته فى سن الخامسة عشرة أو قبل ذلك ، وفى خلال خمسة وعشرين عاما ، بالهول . لا أذكر أنني عشت لحظة بغير حب .

وجوه متعدده ، وعواطف مصطرعه ، وقلب يحترق لانه لم يصل بعد ، لم يجد الفه الحق ، لم يجد الانثي على تلك الصورة التى رسمها بخياله وعاشت في اعماقه .

أنني لا أعرف كيف اصور هذه اللحظة ، لحظة أن أقف أمام هذه الحبيبة الساحره للمرة الاولى ، ماذا سيكون مصيري وتصرفى . وماذا تكون حياتى بعد ذلك

وما أظن أن امراً من امور الحياة مهما بلغ من الخطورة ، سيحول دون أرتباطي بهذا الحبيب .

وأنى لاعلم أن المرأة لا تحب للحب . وأنها لا تستطيع أن تجرد نفسها ، انما هى تدور حول معني واحد هو ان تجعل هذا المحب صريعها ، تريد أن تنتزعه من الدنيا كلها لتفرد به .

لطالما رايت الجميلات الرائعات ، فلما ذهبت أتحدث اليهن وجدت المرأه بكل عيوبها وقصورها وطبيعتها لن تجد مع هذا الجمال الباهر فنا عاليا او روحا مشرقه ؛ تلتمس من الحياة الجمال والفن لن تجده ابدا

المرأة هي المرأة . مهما بلغت غاية العلم أو الفهم للحياة ، ومهما بلغت من الجمال والانوثه . أنها تنطوي وتتقلص حتى تكون وفق الصورة المحدوده .

شيء صغيره ، ذكرني بها هذاالصباح ، واهاج فى نفسى احساس بأنى ظا ، ذلك هو هذا القلم الحلو الصغير الجميل ، أنها هى التي اهدته الى أبحث الان عن السر الغامض الذى فصلني عنها فلا اجده واضحا .

هذه النفسية الغامصة المعقده ، التي تبدو أمام الناس سهله ناعمه هادئه ، ما أعجبها ، نفسى ، نفسى هذه التي تحب وتبغض ، وتقبل وتنصرف بغير اسباب واضحة ، أو عوامل صريحه .

أنها قد احبتنى بوفاء ، وكانت في كل ايامها رمزا على النبل ، ولكنى انا الذى كنت أزور وأمضى ، وأدع الايام تجمعنا فى مصادفات عجيبة ، كانت هي التي تعيد بيننا اسباب الوداد . أن في نفسى معني غامض ، لا يريد ان يبدو واضحا ، وأنما هو يختفى و يستتر . وراء مظاهر واهية تافهه ، . ذلك أن هدي على مافيها من جمال ممتاز ، لا تمثل فى نفسى تلك الصورة التي همت بها من قبل .

اليس عجبا أن لا يحب الانسان للحب نفسه ، ولا يحب الا الصورة

التي عاش يرسمها فى خياله ، وأن ينفر حينما يدنو منه صاحبه ويكاد يسلم نفسه اليه .

هناك شيء ، فى نفسى لهذه الانثى ، لست أدري ما هو على وجه التحديد هذه الصراحة التي تصل بها أحيانا ألى حد الجرأة .. هل اعجبتني أم أنني أنكرتها

الحق أن هذي منحتني عاطفة حلوه ، ووقفت مني موقف الود ، وكانت ا كرم منى فى البذل وأحس بانى موضع اعجابها ، وزهوها ، مما يزيد عاطفة الحب التى تملأ القلب ،

ولكن اليس فى هذا الانصراف عنها ما يملأ نفسها بالانقباض ويجعلها تحتاط وتتحفظ فلا تندفع ولا تمنح من ذاتها .

وطلع يوم شم النسيم حلوا عذبا ، وأحسست أن جمال الربيع ، يدفعني نحو هذه الانسانة التي كنت لها دائما الظالم ، : ولم تكن معي يوما الا مثال الوفاء .

كم هي المرأة اقوي رباطا من الرجل ، اذا احبت ، وكم هي اشد وفاء اذا صدقت عاطفتها .

واخذت في الطريق الطويل أبحث فى اعماق ، عن سر هذا الانقباض الذى يفقدنى طبيعتي . .

هناك خوف كامن فى الاعماق ، هناك رهبه ، هناك احساس بالانطواء . . كانما أنا لص ذاهب ليسرق . .

أن زوجتى كانت تنظر الى وأنا اضع ملابسى فى عنايه ، نظرات ساهمة طويله ، . . فيها معني الشك ، كانت تسالني فى شىء من الحياء عن ماورائى فى يوم اجازه من العمل .

لعل وساوسى هي التي جعلتني احس كانما تريد أن تنفذ الى اعماقي .

انني لا افكر في ان اغير حياتي ، ولكنى أحس بالحاجه الي روح يجدد نفسى . . . هذا الفراغ الذي يساورنى بين آن وآخر ، هل كنت احسه لوكان لدي عدد من الاطفال يملاون حياة الادباء ونفسهم وقلوبهم . . . ام أن فى اعماق نفسى ذلك الاحساس بالرغبة فى الانثي التي تنجب . ، كانما هو شعور كامن مخدر ، لا يريد ان يصافح خاطري ولا يدور فى راسى . . ، أننى لا افكر فى هذ ولا ابحث عنه . . وأري هذا الامر تافها لا قيمة له . فان حياتى الفكرية تشغلني عنه ، وتدفعه عني بقوة : ولكن السنوات الطويلة المارة ، والاقتراب من سن الاربعين ، لعله يخلق في اعماق النفس شعورا غامضا ، هو الذى يدفعنى فى حيره .

كذلك كنت افكر في طريق الى مصر الجديدة .

وطافت بى هذه الروح الحلوه . هذه الفتاة ذات الشعر الذهبي الفاتن ، ووصلت بعد موعدى بنصف ساعه ، وكان على ان اعتذر !

ووجدتها قد أعدت لى شيئا من الحلوي والبتي فور

ومضينا نتحدث ، ومضيت أدنى مني ذلك القلب النافر الذى كان زمامة يوما فى يدى ، ثم افلت . . . على أثر أخطاء وضعها القدر في طريق حبناوظلت متحفظة وقتا طويلا ، ثم انطلقت .

كانت تضع وجهها بين يديها وتنظر فى انوثة وسحر ، عيناها ذات الاسرار الغامضه الرهيبة عيناها التي عادت فاخفتها وراء نظارة مقسمة فذهب السر الذي يملأ قلبي بالضياء

حقا ، أن هذي تحبنى اكثر مما احبها . ولولا أنها تحبني لانطوت صفحة هذا الحب من زمن .

لقد لقيتها وأنا أعيش فى احزان حب لم تذبل بعد فى نفسى أثاره ، فكنت اتكلف الحب . . لاحس أنني أعيش فيه مره اخرى .

ولكني كانما كنت أنتقم ، ماذنبها هذه المسكينة أحطم قلبها لان فتاه اخري عاملتنى بكبرياء .

أننى أنظر اليوم الي نفسي فاستحى . . . كانما ليست « هدي » الا ضحية ذنب لم تقترفه .

أنني قد غبت عنها شهراً كاملا ، دون عذر مقبول ، لذلك كان على أن احتال لاقول لها أنني كنت في رحلة ، حتى استطيع أن استرد ثقتها

فلما التقينا كانت عيناها تحمل سورة العتاب والشك ، كانت تريد أن تطمئن الى ان ما بيننا ما زال قائما .

هناك في طرف المدينة ، في ذلك المكان الذي التقينا فيه أول مره ، في اكتوبر منذ ستة شهور وفى نفس المائده جلسنا . ثلاث ساعات ، تتلاقي عيوننا ، وتتناجي أرواحنا ، وتعابث ايدينا ، في شوق ، بدا مكتوما ثم انفرج عن حنان عميق

هذه القلب النقى ، هذا المعين الذي ينبض بالعاطفة ، مازال يحب في صمت ومازال يكتم عاطفته ، ويحتمل .

لقد كان في أول امره يفصح و يتحدث ، ولكنه أنطوي حين أحس أنه اكبر عاطفه . والمرأه تستطيع كل شيء اذا ارادته . لقد افصحت عن الامها ، وتحدثت عن متاعبها ، وتضائلت الي جوارها حين رايت هذا الجمال الفاتن يتعذب و يشقى ويكافح في سبيل العيش وقد كان اولى به ان يقر وأن تسعي الدنيا اليه وتحدثت « هدى » ومضيت استمع اليها ، وأنا احلق في الفضاء عشت معها ساعات أحس كانما هي زوجتي بالروح ، حقا ، لقد كنت اعجب بها وهي تضغط علي مخارج الحروف . وتتحدث في طلاقه عن الفن والادب

والفلسفة والموسيقي ، حديثا يدل على اطلاع وأخذتني موجة من الحزن واللوعه يارب لك حكمه في تعذيب هذه الزهور اليانعه والقلوب النضره التى عرفت الحياة والحب والجمال لماذا تتختلف امثال هذه .. وهي على هذا القدر من الثقافة والفكر ، .. لماذا لا تجد هذه .. الحياه الناعمة الرضية ، وهي تملك هذا القلب الذهبي ، والعقل النايه ، والجمال الموفور ، والعاطفه النقيه .

. . هذا قلب حنون مشوق ، يحب الحياه و يتطلع الى نعمائها وهو طلعه الى الحب والنور والضياء . ولكنه يلقى من عنت الايام الكثير ، أنها تحس بالتخلف فى عملها ، .. أقرانها اللواتى هن اقل منها ثقافة وعبقرية يسبقنها لانهن يجدن النفاق والترالترف

زميلاتها .. قد بدأن حياتهن الزوجيه فعلا وعشن فى كنفها راضين

اما هي فقد حرمت عطف الام والاب بعد ميسره وحياة رخية ، وفرض عليها أن تكافح لتعيش وأن تجاهد في سبيل اللقمه ..

وأنا ماموقفي ، اى ثقة حين اراها تفضى الي بالامها واحزانها لقد سالتنى عن حالي فقلت لها أنني نقلت الي المنزلي الجديد وأنقبضت نفسها . واحسست بانني أخطأت . فقد كان خليقا بى أن أطوي عنها هذا الجانب من حياتى

لقد كان ذهنى شاردا ، والمترو يقطع فى الطريق بين مصر الجديده والقاهرة . كنت ذاهلا وأنا افكر فى أمر هذه الفتاة الحلوة العذبة النفس .

هل استطيع ان أبدأ حياة زوجيه أخرى ، وأعيش مقسم النفس والحياه بين زوجتين . أن طبيعتى تحب الهدوء ، وتكره التعقيد . كيف استطيع أن اوزع عاطفتى واياى . وهل هى ترضى ؟ أننى لو فعلت لبدأت حياة جديدة من الصراع والنفاق .

وكان هذا هو النهايه . وعدت الى صورة قلبى

ياصورة قلبى لست أدرى لماذا أنقطع ما بيننا دون سبب جوهرى

أما أنا فاننى لا أذكر يوما واحدا مر على دون أن افكر فيك واحنو على ود قديم ما يزال قائما فى الصورة .

كل شىء يذكرنى بك . أن ظروف خطاباتك الزرقاء تصادفنى دائما بين كراساتى وكتبى فيخفق لها قلبى بقوة . هذا الخط الجميل المشبع بالانوثة الثائرة أو المخدرة يردنى دائما الى ذكريات حب كان من ناحيتى كله الوفاء والاخلاص والرعاية .

أننا قد أنقطعنا عن اللقاء فتره طويله . ولكنى لازلت أذكرك . واحلم بك . وتملأين على ايامى . لماذا هذا الانطواء عن الانسان الوحيد الذى عاش لك . لا يصرفه عنك مشاغل الحياة وقد تبين لى أن انسانة اخرى تستطيع ان تملأ نفسى . حقا ، لقد حاولت وفشلت . منذ أن رددت اليك خطاباتك وصورك . وأنا أحس برغبة عجيبة فى أن ابحث عن صوره مشابهة لك ، أنظر فى الوجوه والصور ، دون جدوى ، كانما ليس لك ضريب أو

نظير

أنا أعرف أنك عاتبة على لانى تاخرت عن موعدك . ولكنه كان فوق مقدورى .

لقد بدا لى العجز عن انكار الماضى والاشاحة عنه ، .

اه لو تعلمين كم افكر فيك والى أى مدى ؟ اه لو تعلمين مدى حزنى والآمى . على هذه الوحده التى تعيشين فيها اننى اسال الله كل يوم . يارب اما لهذا الليل من صباح جميل ، لهذه النفس التى استقبلت الحياه منذ اليوم الاول دامعة العين ، حزينة النفس ، منطويه ، حتى كبر فى ظنها أنه لاخير فى الناس،

اننى لك . قلت لك هذا منذ اليوم الاول . ولا زلت مصرا عليه . لا زلت على الامل والوعد والرجاء . ستكونين لى من دون الناس جميعا . وعلى هذا المعنى تريد أن نتحدث فى أول لقاء .

ساظل احبك الى الابد .

اننى مازلت أحبك

لقد كان حبك عاصفا ما اظن أن عوامل الجفاء قادرة على أن تحمل قلبى على أن يسلو

اننى أحبك كالعابد يخشى ان يبيت على غير دين . أننى ابحث عن سلوى ولـكن لا اجد . يبدو أن كل المحاولات التى اردت بها ان انساك كانت

كاذبة فاشله .

كان ظلمك يدفعنى لان انتقم منك بحب اخر ، فى الوقت الذى كانت نوحاتك المحرقة تصل الى ، كان هناك من تلمع فى سماء قلبى ، تريد أن تاخذ مكانك . ولكن مامن مرة عدت من لقاءها الا ذكرتك فى حرقة وحنين عجيب

أنها كانت يعطينى كل ذاته وروحها ونفسها وحبها وحنانها وكنت انت لا تعطينى شيئا ; كنت ظالمه وجافيه ومتكبره . وضنينه حتى بلحظات اللقاء ، ومع ذلك فان صورتك لم تذهب من خاطرى لحظة ابان لقاء غيرك ،فاذا انصرفت عنه ومضيت اقطع ذلك الطريق الطويل بمفردى . كنت أنت مسيطرة على انفاسى وعوطفى وكنت أدهش لنفسى ، كيف اظل مقيدا الى هذا الذى لم يكن الا ظالما

وفى مثل هذه الايام كنت فزعا مضطربا أترقبك فى عنف . انى اذكر هذه الليالى يوم جئتنى لتقول لى الكلمة الاخيره .

ومع ذلك فان القدر لم يشاء ان يحرمنا من لقاء جديد .

. . ولكن ها نحن فى هذه الايام بالذات نعود الى نفس الحديث ، أن هذا الخبر ازعجنى ، ترى هل هو صحيح .

أن روحك وراء كل المحاولات ، وكل الصور : اننى اريد ان انساك فلا استطيع ؟ اريد ان اتعزى عنك ، دون جدوى لم اجد قلبى لامنحة لهذه التى احبتنى بوفاء وقوة ، وكنت انا سببا فى تحطيم قلبها . لست ادرى لماذا لا اجدنى نفسى القوه على ان احبها بنفس الحرارة والقوه والحماس .

حقا . لم يكن قلبى فارغا . لم يكن من العسير ان نخلص لحب جديد مهما

كان هذا الحب يحمل اسباب السعادة والهناء .

أم هو الانسان دائما يعمى عن طريق الهناء ويندفع وراء المتاعب والالام ،

هل أنا احبك حقا .

كم أود لو انساك واتجاهلك وأن تموتى فى نفسى .

ولكنى كذلك العابد الذى اراد ان يغير دينه فى الصباح فلما جاء المساء دعا بدعوى الذين الذى هجره وقال . اخشى ان ابيت على غير دين !

حقا ، لكم أتمنى لو تفتح لى الحياه بابا من ابواب الحنان والحب ، ولكنى اخشى أن ابيت بغير دين ، نعم بغير حب ، فالحب دينى . وماالظن اننى استطيع ان اعيش بغير حب لحظه من حياتى ، لقد أحببتك بعنف لم احبب به انسان من قبلك ، ولكنك اوشكت ان تقتلينى وتحطمى قلبى , وكادت حياتى بك ان يصبح جحيما لا يطاق .

لست أدرى لماذا احبك ، ماذا فيك يغرى بالحب ، لقد كان على أن ابغضك بعنف واكرهك وافقدك لانك اردت نسيانى .

*

أنطفئت تلك الفتاة فى نفسى ، فى سرعة عجيبه ، ولم تخلف رمادا ومن العجيب أن تنطوى الشخصيه الفذه التى كنت أحس فى كل لحظة اقضيها معها أننى اعيش مع انثى كامله الثقافة والعاطفة والروح . . ترانى ازهد فى هذا الصنف ، ولا ارتضيه ، أم أنى احبه واحس بالتجاوب معه .

هل يحب الرجل المرأه التى تساويه ثقافة وتستطيع ان تجاريه فى ميادين المعرفة ، أم هو يحب تلك التى تقف منه موقف التلقى .

هل هو يرضى فى الحبيبة ما يرضاه فى الزوجة ، انه يحب المرأة الجميلة الرائعة الفاتنة ، ويصارع ليفوز بها ، ولكن هل يرضاها زوجة له ويقبل ان تعيش فى كنف دلالها وكبريائها .

وهل يسعد المحب ويرضى حينما يحس أنه محبوب ، وأنه موضع الاعجاب ممن يحب أم ترى يدفعه التيه الى ان يتجاهل العاطفه ، ويسعى الى ايلام من احبته ، ويبحث عن اخرى يقف منها موقف المحب الذى ينثر العاطفه .

وهل يحب الرجل نفسه فى المرأه ، يحب منها أن تكون منسجمة معه ، صورة من افكاره وارائه وعواطفه ومشاعره . أم يحب الرجل من المرأه الجانب الناقص فيه ، يحب فيها الجزء الاخر ، الحنان والانوثة بما فيها من التواء ورخاوه ومكر .

اجدنى هذه الليله فى حاجة ان اخلو الى قلبى لابثه نجواى . وابثه حزنى

لقـــد تزوجت وصدق الخبر هذه المرة ، وانحلت هذه العقدة وجاء دور الرجل الذى اعتطه الاقدار هذه النفس ليعيش معها . ولتعيش معه . وليكون قريبا من هذه الانفاس العطره والوجه السنى والروح الحلو الناعمة . التى احسست باضواءهاولهيبها . لقد تبخرت الالام والمتاعب ومعالم الصراع ولم تعد الان فى نفسى انثى بل صورة رائعه . لم تعد بشراسويا . بل اصبحت تملأ شعاب النفس . وتغمر شغاف القلب .

ترانى احببت غيرها . ما اظن . انما كانت محاولات يقوم بها القلب المجروح ليغطى موقفه . ليوجد ميدانا جديدا يحاول أن ينتصر فيه . ولكن

هل استطاع كلا . لقد اخفق خفقانا ذريعا . وبقيت هي كامنه فى اعماقة تلوث عليه كل ماء . وتعكر عليه كل صفاء . وتبدو من وراء الزمان والمكان شيئا هائما مؤرقا.

حقا . ما أفشل أولائك الذين يقولون انه يمكن استبدال حب بحب وعاطفه بعاطفة . وامرأه بامراة . وما اتعس هذه المرأة التى يقضى عليها ان تكون بديلا . أو التى تاتى فى طريق الرجل المحب المحروم . المهزوم . . أن هذه الايام والشهور والسنوات . لم تذهب هذا الحب من النفس ولم تمحوه بالرغم من غيبة المحبوب . حقا انها لم تكن اكثر من شهور قليله ثلاث شهور تلك التى كانت دمار او جحيما ونارا . ثم تراخى الحب . ذهبت المرأة وتقتله وهو فى المهد ، كانت قد احست بانها تحب بدون أمل ، وأن كل شىء كان يزيد نفسها الما وارهاقا ، . وفى محيط هذه الحيرة أخذت تقطع الخيوط برفق ولم أجد بدا من أن اصمت ، فقد بدالى ان عوامل متعدده ، قد اصبحت تحول بينى وبينها . والايام المريره ، ماتزال تمر مظلمة متشابهه ، الذين هم حولها لا تحس منهم رائحة الخير ، جو غامض متجهم ليس فيه حنان ولا رفق . . الـكلمات التى ترد فى الرسائل الموجزه ، كانت تملأ نفسى الما ، أن سياط الطموح والاندفاع نحو المجد ، ماتزال تلهب ظهرى ، ولذلك فهدى قد جاءت كعزاء لنفسى عن الم هذا الحب المحير العنيف . ولـكن مالى اليوم ، أحس بشىء جديد ، أحس باننى قد حرمت هذا الضياء . هكـذا لا نحس بفقدان المتع الروحية الا بعد أن تصبح ملكا لغيرنا اهذا هو نهاية الحب ، أمهو بداية لمرحلة جديده من مراحله ربما . أنا اعرف ان حبى لم يمت وان يموت

جاءت أيام الالم والحزن مرة اخرى فى رمضان أن الدنيا تضيق فى هذه الايام فلا أرى فيها بارقة أمل . وانظر من حولى ، ، حتى هنا فى طريقى الى منزلى فى شارع الهرم . فارى الاحباب فى لحظات اللقاء . وأعجب كيف حرمتنى الحياة من هذا الهناء ، . الا من لحظات خاطفة كانت تبرق فى ظلام ايامى . ودهشت وساءلت نفسى . أكان من الممكن ان يعوض عنى هذا الجمال ذلك الحب الميؤوس . اما وجه هذه الوجوة النضره التى اراها فى كل مكان يمكن ان ينسى ذلك الحب الذى لا أمل فيه .

.. انه حب معقد غايه التعقيد : لا سبيل الى لقاء فيه . لامن ناحيتى ولا من ناحيتها , ولكنى اعترف انى حاولت ان اصرف نفسى عن هذا الحب منذ العام الفائت : دون جدوى . احسست ان ذلك من المحال . ولكنى عاودت المحاولة طوال العام مرأت وكدت اظن اننى افلحت ولكن هل استطاعت الايام التى فرقت بينى وبينها بله الشهور ان تقطع فى الامر . ولكن هذه المفاجاه ، خبر الزواج ، اعادنى مره اخرى الى حب جازف ، . كلة الم ؛ ليس فيه اشراق ، ولا أمل . ولا مطمع ، ولا وجه من وجوه الضياء . أى مطمع لى فيها لاشيء . الا ن اراها من بعيد وأحس بانها سعيده ، وارقب هذه الحياة وأحس بالهناء الذى يغمر هذا القلب ، أنه الحنان الذى يملأ قلبى فى عنف ، أريد أن أحس ان هذا القلب الذى تعذب طويلا ، الذى ارهقته الايام اعواما ، قد آب الى شيء من النعيم ولا كل النعيم ترى هل لايزال يطوى هذا القلب لى . بعض الحب وهل لم تنسه الدنيا وده الصادق لى . أننى مارايت منه الا عذابا ونصبا ، ارهق قلبى ، وملأ نفسى بالحزن العميق . ولكنى رغم ذلك كلة مازالت احبة . ولقد تجدد حبى هذه الايام فاجرى السحاب فى سماء حياتى . فلم تشرق الشمس ولم يطلع القمر .

انه الضباب الكثيف . وعجبت لنفسى كيف يعيش حب بدون لقاء وبدون أمل وكيف يبقى ترفعه الايام وتخفضة فيصبح فيضا دافقا وموجا زاخرا ، ثم ينطوى حتى يصبح جزرا . ماحلا ، ولكنه مع ذلك لا يموت

وهذه الوحده من حولى . وهذه القلوب التى تهفو الى . ولا اجد عندها شيئا يرضينى . ثم ابحث عن السر ، فى هذا التعلق المجنون ، المحروم ،وأدهش لاشيء هناك يغرى على هذا فى مقاييس الناس ، لا الجمال والا المال ولا أى عامل من عوامل الاغراء . و لكنه العمى الذى يصيب النفوس المحبة ، ولكنها اللمحات الخاطفة التى تبقى فى النفس وترسب فى اعماق القلب . وتظل تفعل فعل السحر دون أن تبدو عيانا . الى امد بعيد . أن زينب تملأ على احلامى . أنى أنظر اليها فى اعماقى كانها ليست من النساء وبدأ لى أنى احبها كرجل عجوز كهل ، قد غربت به السن ولم يعد هناك أمل فى أن يحب ومره ومرة ومرات أنى احبها كانها روح من السماء وليست من أهل هذه الارض

لست أدرى كيف ملكت هذه الفتاه لى على هذه الصورة كانت بالرغم من بساطتها تبدو كانها شيء اخر غير النساء كان فيها شيء ساحر خارج عن الطبيعة لست أدوى هل هو الوجه المصقول أم الجبين السنى أم الاشراق الروحى الذى يشع من عيناها الواسعتان لقد اردت ان احب لأنساها فلم يزدنى الحب الجديد الا حبالها وسمعت عنها كثير احممت قصصا وقرأت فصولا ولكن هل استطاع ذلك أن يمحوها من قلبى أو يذهب بها من اعماق عاطفتى لقد احببتها حتى اصبحت مقياس الجمال الانثوى فى نظرى اننى احب شبيهاتها لم تعد أى صوة الجمال تفتننى الا من كانت على صورتها وطابعها مهما بلغ هدا الجمال من الفن والروعة أو الجلال يا زينب كم احبك وانتظرك فلابد أن تعودى يوما « أحبك الى الابد » (طبق الاصل) ٥ أغسطس ١٩٥٤